

المجتمع



— مجلة المسلمين في أنحاء العالم —

العدد (2190) - السنة (55) رمضان 1445 هـ / 1 أبريل 2024 م

مستقبل المشروع الإسلامي (١) الحكم الرشيد

الكويت 750 فلساً، السعودية 10 ريالاً، البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالاً، سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA \$ 5 - Canada \$ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.K £ 3

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

المنصات العربية



mugtama magazin



@mugtama



@mugtama



@mugtama



mujtamaa@gmail.com



@mugtamaa



@mugtamaa

English platforms



@almujtama_en



@almujtama_en



@AlMujtama_en



@almujtama_en

AR

WWW.MUGTAMA.COM

EN

WWW.EN.MUGTAMA.COM





الأقربون أولى بالمعروف

1000

حالة من الغارمين



24834414 94064086
www.altakaful.com

@Takaful.Association
@altakaful





في هذا العدد:

مستقبل المشروع الإسلامي (١) الحكم الرشيد

- 8 عبدالعزيز المطوع.. شخصية رائدة في تاريخ الكويت
- 10 الحكم الرشيد.. مفاهيم تراثية ومعالم معاصرة
- 12 مقومات الحكم الرشيد.. رؤية إسلامية
- 16 دور المؤسسات الدعوية في إرساء قواعد الحكم الرشيد
- 36 غزة تحيي الأمة من جديد
- 38 نصرة غزة.. بين الولاء للإسلام والولاء للأوطان
- 40 وزير الأوقاف المصري السابق د. طلعت عفيفي: المساس بثوابت الدين تبديد.. والتجديد في وسائل الخطاب وآلياته
- 52 د. كامل البوهي.. الرائد الأول للإعلام الإذاعي الإسلامي
- 54 الشيخ المحلاوي.. الإمام الذي غيّر الإسكندرية
- 66 كاريكاتير المجتمع

حركة «المجتمع» في فضاء الإعلام

أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يعيش حياته نسيجاً واحداً متكاملأ شاملاً لله عز وجل، وأمره أن يكون شعاره في الحياة ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمِمَّا قُيِّدَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له، وبذلك أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ (الأنعام). وأراد الإسلام من أتباعه أن يعيشوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والعلمية والنفسية والتربوية والإعلامية، وما شئت من أسماء ومسميات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعرض هذا الدين سواء بسواء، ومن هذا المنطلق القيمي تنطلق «المجتمع» في فضاء الإعلام، متخذة شمولية الرسالة الإعلامية شعاراً لها؛ فتجمع بين الشأن الديني والتناول السياسي والتحليل الاقتصادي والتوجيه الأسري والتربوي. ■

إسلامية أسبوعية
تصدر شهرياً مؤقتاً

تأسست عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م
جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت

رأس مجلس إدارتها
حتى ١٤٢٧/٨/١٠ هـ - ٢٠٠٦/٩/٣ م
عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير:
سالم القحطاني

مدير التحرير:
جمال الشرقاوي

الآراء المنشورة بالمجتمع، تعبر عن رأي أصحابها
وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات:

العنوان البريدي : الكويت ص.ب.
(٤٨٥٠) الصفاة. الرمز البريدي
(١٣٠٤٩)

التحرير

٢٢٥١٩٥٣٩ - ٢٢٥١٤١٨٠

٢٢٥١٣٦١٦ (داخلية ٢٠٥).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: ٢٢٥٦٠٥٢٣ (٠٠٩٦٥)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

رأي المجتمع

المشروع الإسلامي.. بعث جديد

عندما جاء «الربيع العربي» بدا أنه بداية التمكن للمشروع الإسلامي ولحركته التي ظهرت في أوج قوتها وحضورها، لكن بعد تأمر الداخل والخارج على هذا الربيع، ولما انقلبت الصورة: دخل المشروع الإسلامي وحركته في أتون محنة جديدة، فتعرضت الحركة الإسلامية إلى تأمر إقليمي ودولي لم يحدث من قبل، ودبرت لها بعض الأنظمة المجازر واعتقلت منها عشرات الآلاف.

وتراجعت الحركات الإسلامية في البلاد المختلفة خطوات للخلف؛ حفاظاً على أفرادها وكيانها، وتراجع معها بالطبع المشروع الإسلامي عن الطرح كمنهاج لنهوض الأمة من جديد.

لكن عندما نشبت معركة «طوفان الأقصى» المباركة -التي ما زالت تدور رحاها لما يقرب من ٦ أشهر- أعادت الحياة للحركة الإسلامية، وعاد الزخم لمشروعها الإسلامي.

لذلك، ومن واجبه الرسالي تجاه أمتها، أفردت «المجتمع» ملف عددها لهذا الشهر حول «المشروع الإسلامي.. والحكم الرشيد»: في محاولة لتأصيل معالم هذا الحكم، واستشراف ملامح المستقبل للمشروع الإسلامي.

والمستقبل للإسلام ديناً لا يقلق عليه أحد، فهو وعد الله الحق كما جاء على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: «لَيُبَلِّغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ، وَلَئِنْ يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرُودًا وَبَرًّا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعَزَ عَزِيزٌ، يُعْزِرُ بِهِ الْإِسْلَامُ، وَيُذِلُّ ذُلِيلٌ يَذِلُّ بِهِ الْكُفْرُ» (صحيح مسلم).

والمستقبل لدولة الإسلام القوية القائمة على منهاج النبوة، لا يخاف عليه أحد، فقد أخبرنا الله تعالى به أيضاً على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فقد قال: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فَيَكُمُّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَاجِ النُّبُوءَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاصِياً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَاجِ نُبُوءَةٍ، ثُمَّ سَكَتَ» (رواه النعمان بن بشير).

أما مستقبل الحركة الإسلامية فمرهون بالعمل وفق الثوابت والسنن التي يتحقق بها الوعد الإلهي بالتمكين، ولن يكون مشرقاً إلا بجهد أبنائها في لملمة الخلافات ورأب الصدع وتجديد الأفكار والوسائل والأطر، وتلافي الأخطاء، حتى تكون انطلاقة جديدة وبعثاً جديداً، لعل الله يكتب فيه لهذه الحركة وعلى يديها المستقبل المشرق للإسلام ديناً ودولة وشريعة. ■

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوَاهُمْ إِلَّا النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

سُورَةُ النَّوْنِ

وكلاء التوزيع

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:

ت: ٢٢٢٧٢٧٣٣ ف: ٢٢٢٧٢٧٣٦

distribution@alanba.com.kw



الشركة السعودية للتوزيع
Saudi Distribution Co.

السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:

www.saudidistribution.com

الإدارة العامة: الرياض

٠٠٩٦٦١٢١٢٨٠٠٠

فرع الرياض: ٠٠٩٦٦١٢٧٠٥٨٣٧

فرع جدة: ٠٠٩٦٦٢٦٥٣٠٩٠٩

فرع الدمام: ٠٠٩٦٦٣٨٤٧٣٥٦٩

قطر:

دار الثقافة ت: ٤٦٢٢١٨٢ / ف: ٤٦٢١٨٠٠

البحرين:

مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع

ت: ٧٢٥١١١ / ف: ٧٢٣٧٦٣

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM

الإعلانات

امتياز الإعلان: مجلة المجتمع

ت: ٢٢٥٦٠٥٢٥ - ٢٢٥٦٠٥٢٦ الكويت.

«صدقتي سر نجاتي».. روح التطوع تحلق بين طلبة الكويت



«الإصلاح الاجتماعي» رائدة في دعم وتعزيز العمل التطوعي وغرس قيم الخير في نفوس الطلبة

✍ كتيب - المحرر المحلي:

تحرص وزارة التربية في الكويت على دعم القيم الإنسانية وتعزيز ثقافة العمل التطوعي بين الطلبة، وذلك من خلال مبادرات توعوية وتثقيفية تهدف إلى بناء جيل واع قادر على تقديم العطاء والمساهمة الإيجابية في مجتمعه، وتأتي مبادرة «صدقتي سر نجاتي» كجزء من هذه الجهود الرامية إلى تشجيع الطلبة على فعل الخير ومساعدة الآخرين.

تم تنظيم الحملة بشكل متميز وفُتِل في سوق المباركية، حيث شارك فيها ١٢٠٠ من الكشافة والمرشدات وطلاب وطالبات من مدارس المناطق التعليمية والتوجيه الفني العام للعام للكشافة والتوجيه الفني العام للزهرات والتعليم الخاص، وتهدف الحملة إلى غرس قيمة حب الخير والعمل التطوعي في نفوس الطلبة، وتعزيز الإحساس بقيمة النعمة التي وهبها الله لهم في شهر رمضان المبارك.

من خلال مثل هذه المبادرات، يسعى القطاع التربوي في الكويت إلى تحقيق عدة أهداف، منها:

١- تعزيز القيم الوطنية

والإنسانية بين الطلبة، وترسيخ مفهوم المسؤولية الاجتماعية.

٢- تشجيع الطلبة على المشاركة الفعّالة في الأعمال التطوعية وتحفيزهم على بذل الجهد من أجل خدمة المجتمع.

٣- توفير بيئة تعليمية تشجع على التعاون والتكافل الاجتماعي بين الطلبة.

٤- تحفيز الطلبة على استغلال أوقاتهم الفراغية في أعمال إنسانية وتطوعية تساهم في بناء مجتمع أفضل.

بفضل مثل هذه المبادرات، يتسنى للطلبة الاستفادة من تجارب تعليمية غنية تساهم في نمو شخصيتهم وتنمية مهاراتهم الاجتماعية، مما يساهم في بناء مجتمع أكثر تفاعلية وتكافلية.

هذا، وقد أكدت الوكالة المساعدة للتنمية التربوية والأنشطة بالتكليف مريم العنزي اهتمام «التربية» بتعزيز القيم ونشر ثقافة العمل التطوعي

وحب مساعدة الغير، مشيرة إلى أن القطاع قام مؤخراً بحملة بعنوان «صدقتي سر نجاتي» بهدف تشجيع الطلبة على فعل الخير.

وذكرت العنزي خلال الحملة التي أقيمت لتوزيع وجبات إفطار صائم في سوق المباركية، أن هذه الحملة تهدف إلى غرس قيمة حب الخير ومساعدة الآخرين والإحساس بقيمة النعمة التي وهبها الله لنا في شهر رمضان.

وتابعت العنزي أن عدد المشاركين في الحملة بلغ ١٢٠٠ من الكشافة والمرشدات وطلاب وطالبات من مدارس المناطق التعليمية والتوجيه الفني العام للكشافة والتوجيه الفني العام للزهرات والتعليم الخاص.

وذكرت أن القطاع يعمل من خلال خطط تربوية لتعزيز القيم الوطنية والتربوية الهادفة، إضافة إلى نشر الثقافة والارتقاء بخبرات الطلبة والطالبات في شتى المجالات لا سيما القيم التي تساعدهم على

التنشئة الصالحة ليكونوا أفراداً فاعلين في المجتمع.

ولست هذه المبادرة فحسب، ففي وقت سابق، اختتمت جامعة الكويت بنجاح فعاليات وأنشطة مبادرة «جامعتنا غير في شهر الخير» في دورتها الأولى، حيث شهدت هذه الفعاليات مشاركة فاعلة من طلبة وطالبات الجامعة بالتعاون مع الاتحاد الوطني لطلبة الكويت والجمعيات العلمية والأندية المهنية بالكلية والموظفين وأعضاء هيئة التدريس والمساعدین الأكاديميين.

ويعتبر دور الجامعة الريادي في تعزيز الأنشطة المجتمعية، وخاصة العمل التطوعي، أمراً لا يمكن إنكاره، وتم تنظيم مبادرة «جامعتنا غير في شهر الخير» بشكل مؤسسي واسع، مما يعكس التلاحم والترابط في الأسرة الجامعية على مختلف المستويات. في حين، تشكل إنجازات المتطوعين في المبادرة مصدر فخر

معطر الغرف Room Freshener 500 ml



بودري
Powdery

ميسيك
Mystic

سلك
Silk

لينن
Linen

شارم
Charm



منذ 1928

الشايح للعطور
AL SHAYA PERFUMES

www.alshayaperfumes.com



@alshayaperfumes

«منحة التصوير الإنساني».. مبادرة كويتية لتوثيق الوضع الإنساني في غزة

أطلق مجموعة من المصورين الكويتيين مبادرة إنسانية بعنوان «منحة التصوير الإنساني» لأهالي غزة.

وقال رئيس مجلس أمناء المنحة عبدالعزيز الكندري: تبرز منحة التصوير الإنساني كمثال بارز على التطور الذي شهده العمل الإنساني عبر السنين، فهي ليست مجرد منحة تقنية أو فنية، بل تعبير عن روح التكافل والتعاون التي تجمع الناس في مواقف الحاجة.

وأضاف الكندري: تأتي هذه المنحة كمساهمة فعالة في دعم العمل الإنساني، حيث تقدم الدعم المالي والتقني للمصورين الطموحين الذين يسعون لتوثيق القصص الإنسانية المهمة.

من جانبه، قال المصور الوثائقي مدير المنحة سامي الرميان: تعتبر منحة التصوير الإنساني مبادرة ملهمة تهدف إلى دعم المصورين الطموحين الذين يسعون لتوثيق القصص الإنسانية المهمة في مختلف أنحاء العالم، وتقدم هذه المنحة دعماً مالياً وتقنياً للمشايخ الفوتوغرافية التي تسلط الضوء على الحاجات الإنسانية، وتحمل رسائل قوية تساهم في نشر الوعي وتأثير إيجابي في المجتمعات المحتاجة.

وأضاف الرميان أن الصور الفوتوغرافية تؤدي دوراً مهماً في تشكيل الرأي العام العالمي، وخاصة عندما تتناول قضايا إنسانية ملحة، وتعمل على فهم أفضل للاحتياجات وما تتطلبه من تغيير السياسات والتحركات الدولية لمساعدة المحتاجين.

وأوضح الرميان أن هذه المنحة في نسختها الأولى تنطلق في غزة، حيث نعمل جاهدين على تقديم الدعم والفرصة للمصورين المحليين لتوثيق حياة الناس في ظل الحرب والصراع، وتأتي هذه المنحة بقيمة ٥٠ ألف دولار أمريكي.

للجامعة، حيث بلغ عددهم نحو ٤٠٠ شخص، وقدموا ما يقارب ١١٦٩ ساعة تطوعية عبر أكثر من ١٨ نشاطاً مختلفاً لخدمة حوالي ١٣ ألف فرد، بالتعاون مع ٨ مؤسسات مختلفة من جمعيات النفع العام والمجتمع المدني.

وكذلك، تعزيز ثقافة العمل التطوعي في الجامعات يعزز الانتماء المجتمعي للطلاب ويساهم في ترسيخ القيم الإنسانية والمساهمة الإيجابية في تحسين المجتمع.

إن استمرار مثل هذه المبادرات يعكس التزام الجامعة بتطوير شبابها وتحضيرهم لدور فعال في بناء مجتمعهم ومستقبل بلادهم.

وتعد جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت رائدة في دعم وتعزيز العمل التطوعي، وتعمل جاهدة على غرس قيم الخير

وحب الوطن.



رمز العطاء والجهاد عبدالعزیز بن علي المطوع.. شخصية رائدة في تاريخ الكويت

” كتب - عادل العصفور:

عندما نتحدث عن عبدالعزيز بن علي المطوع، يرحمه الله تعالى، نجد أنفسنا أمام شخصية استثنائية، تتسم بالعطاء اللامحدود والإيمان القوي بقضايا الإسلام والإنسانية، إنه رمز للثقافة والتضحية، ومثال يُحتذى به في كل مجالات الحياة.

في ظل الظروف التي نشأ فيها، استطاع أن يتميز بين أقرانه، وبناء على قيمه الإسلامية الراسخة، وتعلقه بالعلم والمعرفة؛ نجح في ترك بصماته الواضحة في مجتمعه وميادين العلم والدعوة.

كانت حياته مزجاً متناغماً بين التجارة والدعوة، فلم يقتصر عطاؤه على جوانب معينة، بل كانت روح الإحسان والعطاء تتبع من داخله بلا حدود، من خلال تأسيسه للعديد من المؤسسات الخيرية والدعوية، ودعمه لكل مظاهر الخير والإصلاح، أثبت أن الإسلام دين العطاء والتضحية.

المولد والنشأة:

ولد عبدالعزيز بن علي بن عبد الوهاب المطوع القناعي في ٢٩ يوليو ١٩١٠م بالكويت، وكان فرحة والده البكر، شب وتعلم في المدرسة الأحمدية، واشتهر بذكائه الحاد وفطنته، فقد تخرج في المدرسة وعمره ١١ عاماً، وكان ترتيبه الأول على المدرسة؛ ما جعله محط إعجاب أساتذته في ذلك الوقت. نشأ نشأة دينية وأدبية في بيت كريم يرضى حدود الله، ورافق عدداً كبيراً من رجالات الكويت الذين بنوا نهضة البلاد

بمختلف أشكالها، خاصة الجانب التعليمي منها، ومن هؤلاء الشيخ يوسف بن عيسى القناعي، المؤسس الأول للنهضة الإصلاحية العلمية في البلاد، الذي كان عضواً بمجلس المعارف في عهد الشيخ عبدالله الجابر الصباح، وعضواً في المجلس البلدي عام ١٩٥١ - ١٩٥٤م.

عبدالعزیز كان شاباً متميزاً بين أقرانه، نبهاً فطناً، يشهد له بذلك كل من عرفه عن قرب، فرغم عدم حصوله على تعليم رسمي في الجامعات أو الأزهر، فإنه كان يمتلك عقلية تفكير متقدمة، وإيماناً قوياً بأهمية العلم والتعلم.

يقول بنفسه عن ذلك: «لم أكن من خريجي الأزهر الشريف ولا من خريجي الجامعات، بل كان تعليمي في وطني الكويت ولم يزد على ٦ سنوات في المدرسة المباركية، وسنة أخرى في مدرسة عبدالملك الصالح في بيته، و٤ سنوات في الأحمدية، وكانت جامعتي الكبرى هي القرآن الكريم، إذ أخذت أنظر في آياته منذ سن التاسعة عشرة من عمري، كما أنني لم أترك فرصة للتعلم إلا استفدت منها، وكنت كلما وجدت معلماً خاصاً أعلم في منزله أخذت منه العلم واعتبرت الحياة على امتدادها مدرسة مستمرة».

أسس عبدالعزيز مدرسة عملية إيمانية في الكويت، حيث أخذ يعمل على نشر الخير والإحسان في المجتمع وتعليم الشباب القيم الإسلامية الفاضلة، فكان يستقبل الدعاة والزائرين ويدعم نشاطهم، وأسس مكتبة إسلامية كبيرة وجمعيات دعوية تهدف إلى

خدمة المسلمين ونشر الإسلام.

وكان يمارس التجارة منذ سن مبكرة، ولكنه تميز بأخلاق تجارية عالية وحسن سلوك، ونشر الخير والأخلاق الإسلامية من خلال تعامله التجاري، والسعي في مساعدة الفقراء والمحتاجين دون تردد.

لقد كانت روح الجهاد والمساهمة في قضايا الأمة الإسلامية تسكن قلبه، حيث عبر عن رغبته بالمشاركة في جهاد تحرير فلسطين، وعندما فاتته الفرصة للجهاد بالنفس، كان من أوائل المتبرعين والداعمين للقضايا الإسلامية المختلفة.

وفي نهاية المطاف، يظل عبدالعزيز المطوع رمزاً للعطاء والجهاد والإيمان في سبيل الله، ولقد بقيت سيرته وأعماله الخيرية والدعوية خالدة في ذاكرة الكويتيين والمسلمين؛ مما يجعله مثلاً يُحتذى به في مسيرة العطاء والإحسان.

ويبقى إرثه، رحمه الله، حافلاً بالعطاء والإيمان، وقصته تظل درساً وعبرة للأجيال القادمة في قيم الإسلام والعمل الخيري وروح الجهاد في سبيل الله.

وفاته:

وقد أسلم الروح إلى بارئها في ١٧ من ذي القعدة ١٤١٦هـ/ ٧ أبريل ١٩٩٦م، رحم الله تعالى رجل الخير والإحسان، وجعل أعماله في ميزان حسناته وأسكنه الفردوس الأعلى. ■



لمجتمع

قسيمة اشتراك بمجلة «المجتمع»

اسم المشترك:

العنوان:

صندوق البريد:

الرمز البريدي:

تليفون: 0096597228290 - تليفاكس: 0096522560523

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN000000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

17- د.ك

الدول العربية

10- د.ك

داخل الكويت

**اشترك
أو جدد**

30- د.ك

المؤسسات والشركات

25- د.ك

الدول الأجنبية

الحكم الرشيد.. مفاهيم تراثية ومعالم معاصرة

الله تعالى سمى نفسه «الرشيد» وأسند إلى نفسه الحكم

الأمة العمران الصادر عن تطبيقات التزكية التي ولدها اعتقاد التوحيد.

ينضاف إلى ذلك الهداية إلى ماهية الحكم الرشيد في الحضارة الإسلامية من خلال فحص دلالات اسم الله الرشيد، بوصفه الذي يهدي الخلق إلى طريق السداد والصواب، وما به صيد الفوز والنجاح، وتحقيق مرادات الله من خلقه.

وتأمل فعل الناجين في تاريخ الإسلام في كل نسخة على الأرض يكشف عن تواتر طلب الرشيد في كل السياقات والمراحل، ولا سيما المراحل الضاغطة العاصفة المأزومة، ففي سورة «الكهف» يقول تعالى مبيناً سلوك الفتية المؤمنة عند هجوم الأخطار السياسية العاصفة: «رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» (الكهف: ١٠)، أي وفر القدرة على بلوغ الاستقامة والصلاح والتصرف السديد،

إدارة حياة الناس والقيام على تدبيرها هو عين مفهوم الحكم

تتحرك بها مادة الرشيد في اللسان العربي.

الحكم الرشيد.. مفاهيم تراثية:

تمتلك الأمة مجموعة فذة من المصادر الضابطة التي تمثل المرجعية الهادية لها في مسيرة تخطيطها وتهديها لخدمة ميادين الحياة، وفي هذا السياق؛ فإن مراجعة الكتاب العزيز بوصفه المرجعية العليا في الأمة التي أنتجت الحضارة وفجّرت العلوم تمثل نقطة منهجية محورية.

إن الله تعالى سمى نفسه «الرشيد»، وأسند إلى نفسه الحكم فقال سبحانه: «لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (القصص: ٨٨)؛ أي له التصرف والتدبير وسياسة الناس، وخطر المسألة واضح من ربطها بالنطاق الاعتقادي التوحيدي في المبدأ، وربطها بالمآلات والمصير الإنساني في المنتهى، وهذه أول مسألة مهمة في هذا السياق تقرر أن أول علامات الحكم الرشيد كما تقرر المفهومات التراثية صدوره عن رؤية توحيدية ينبثق من رعايتها، وتنتج في

أ.د. خالد فهمي

أستاذ اللغويات بكلية الآداب - جامعة المنوفية

تمثل فكرة الرشيد بوصفها تحقق الاستقامة، والسير في الأمور على النهج الأصح في القيام على أمر الناس والأموال ومقدرات الأمة.

والحقيقة أن الدخول لفحص مقومات الحكم الرشيد مرهون بتحرير مفهوم الرشيد في المعجمية العربية والقرآنية بوجه خاص، وفي هذا السياق تقرر المعجمية العربية أن الرشيد هو الحسن، والاستقامة، وإصابة الحق، والاهتداء، ومعرفة الطريق، والاعتدال، والاقتصاد وعدم السرف، والتعلل، والبلوغ وحسن التصرف والوفرة العقلية والنفسية والتوفيق.

وكل هذه الدلالات اللغوية تشير إلى أن إدارة حياة الناس والقيام على تدبيرها وهو عين مفهوم الحكم، ولن تحقق مقاصدها في رعاية المجتمعات ما لم تستسحب هذه الدلالات التي

الإنسان»، وقررت المفوضية نفسها أن الحكم الرشيد لكي ينهض بواجباته ويحقق غاياته، ويستصحب تسميته هذه لا بد له من أن يصدر عن حزمة الضوابط المؤسسة التالية:

أولاً: الاحترام الكامل للإنسان، وتكريمه، وهو مبدأ قديم عريق ورد في المرجعية العليا للأمة عندما قال الكتاب العزيز: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾



(الإسراء: ٧٠).

ثانياً: القيام الكامل على سيادة القانون، وعدم التمييز بين الناس على أي أساس كان في الحقوق والواجبات.

ثالثاً: رعاية التعددية السياسية، والسماح بتداول السلطة على أساس الكفاءات وحيازة المؤهلات ورضا الجماهير.

رابعاً: الحركة المنضبطة بالقيم التي تعزز المسؤولية والتضامن والتكافل والتسامح، وعدم النبد أو الإقصاء.

خامساً: التحرك على قاعدة استهداف الوفاء بالحقوق المختلفة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والسياسية والتعبيرية.

سادساً: التحرك على قاعدة ضمان الحق في الصحة والسكن والغذاء والتعليم والعدالة والأمان، وما إليها ما يتوافق مع الكرامة الإنسانية التي كفلها الإسلام للناس.

والحقيقة أن كل واحدة من هذه الضوابط والمعايير تمتلك معززين ظاهرين لإمكان تحقيق

الحكم الرشيد، وهذان الداعمان المعززان هما

١- المنهج الثابت القويم الوارد في الكتاب العزيز الذي نهضت بتطبيقاته دولة النبوة وحكم الخلفاء الراشدين.

٢- التجربة العملية المتكررة في التاريخ المحلي والإقليمي والعالمي.

يبقى واضحاً أن حضور الوعي بكرامة الإنسان، وإرادة رعايتها؛ هو الطريق لقيام الحكم الرشيد في هذا العالم المأزوم! ■

لتحقيق النجاة، وقد جاءت الاستجابة من جنس مطلوبهم فقال تعالى: ﴿هَآؤُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (الكهف: ١٦).

وقد أنتج ذلك النظر في هذه الثلاثية بصورة أساسية حقلاً بالغ الأهمية عرف في تاريخ العلم في هذه الحضارة باسم حقل السياسة الشرعية، استطاعت أدبياته المتنوعة المتراكمة استخراج خصائص

سياسة الجماهير بالحكم، وجردتها، وبسطتها في قواعد وقوانين مستقرة، توسعت في بيان ما يلي:

أولاً: خصائص الحكم الرشيد وقيامه على قواعد المنهج الوارد في الكتاب العزيز، بوصفه شرعة للناس تهدف إلى حزمة من القوانين والنتائج، هي: رعاية التوحيد، ورعاية التزكية، ورعاية العمران.

ثانياً: خصائص الحاكم الرشيد، وما به يكون مؤهلاً لسياسة الناس، وهي الخصائص التي يلزم قيامها في بدنه ونفسه وعقله وأخلاقه.

ثالثاً: خصائص المؤسسات والوظائف المحققة لمقاصد الشريعة في سياسة الخلق، حتى وصل الأمر إلى التصنيف في بيان التوصيف الوظيفي للوظائف المتنوعة في الأمة، جاء بعض عنواناتها كاشفاً عن غايات استهداف الحكم الرشيد، من مثل كتاب «معيد النعم ومبيد النقم» للسبكي الفقيه الشافعي المصري (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، وهو يجرّد على التفصيل ما يلزم لكل وظيفة ومؤسسة في الأمة أن ينهض بها القائمون عليها.

الحكم الرشيد.. معالم معاصرة:

وقد أضافت حركة العلم، وتطور العلوم

الوعي بكرامة الإنسان وإرادة رعايتها.. الطريق لقيام الحكم الرشيد

مقومات الحكم الرشيد.. رؤية إسلامية

منذ خلق الله تعالى الإنسان وهو يسعى إلى وضع أنظمة تسمح بإدارة الاجتماع وتنظيم العلاقات بين البشر، حيث ظهرت الأنظمة البدائية العشائرية والقبلية والإقطاعية، ثم ظهرت أنظمة أكثر تطوراً؛ مثل النظام الإمبراطوري والملكي والجمهوري وغيرها، وهي أنظمة قد تقترب من العدل وتحققه لمواطنيها أو تجانبه، ولذلك صار البحث مؤخراً عن صيغة نظام يحقق العدل والمساواة والرفاه لمواطنيه تحت اسم «الحكم الرشيد»، وهو مصطلح معاصر ظهر في نهايات القرن الماضي نتيجة قصور الإدارات الحكومية في معظم البلدان وعجزها عن مواجهة الفساد وتحقيق التنمية، ومنذ ذلك الحين اعتمد في أدبيات ووثائق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية وغداً أحد المفاهيم الأهمية الشائعة.

السياسية الإسلامية.

وبصفة عامة، أفاض الفقهاء في بيان ماهية نظام الحكم الذي يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، ويستعري النظر أنهم ناقشوا جوهر الحكم ولم يتوقفوا أمام عوارضه، فاعتبروا أن أي دولة مهما كانت يتحقق معها الصلاح فهي شرعية بغض النظر عن صورة تلك الدولة إمبراطورية كانت أم ملكية أم إمارة، كما

الفقهاء لضبط العلاقة بين الحاكم والرعية. وتشكل تطبيقات الفقهاء معيناً صالحاً يمكن الاستفادة منه في ضبط العلاقة بين الحكام والمحكومين في كل عصر بشروط، منها: الفهم العميق لنصوص الفقهاء ومرادهم وفق مقتضيات عصرهم، والفهم الدقيق لمقتضيات الواقع المعاصر، ومحاولة الوصل بين النص التراثي والمعارف الحديثة لأجل تطوير بنية النظرية



د. فاطمة حافظ

تتباين تعريفات الحكم الرشيد وتتفاوت فيما بينها لكن هذه التعريفات تتفق أنه يشير إلى نظام حكم قائم على الاختيار الحر، ويخضع للمساءلة القانونية، ويعمل على رعاية مصالح مواطنيه دون تمييز عرقي أو ديني، ويستهدف تحقيق الرفاه الاقتصادي لهم.

وعلى الرغم من حداثة المفهوم، فإن له جذوراً في الخبرة التاريخية الإسلامية، إذ نعت المسلمون حقبة الخلفاء الأربعة بالخلافة الراشدة، والرشد في اللغة يطلق على معاني الاستقامة والهداية وإصابة الحق والصواب، ونقيضه الغي أو الضلال، وهو يستند إلى نصوص قطعية من القرآن والسنة، وخبرة تاريخية تم خلالها ترجمة النصوص القطعية، وقواعد وأطر نظرية وضعها

أي دولة يتحقق معها الصلاح فهي
شرعية بغض النظر عن صورتها
إمبراطورية كانت أم ملكية أم إمارة

الشريعة الإسلامية حددت قواعد
الحكم الرشيد في الاختيار الحر
والعدل والشورى والحرية والمساءلة

الماوردي: الإمامة موضوعة لخلافة
النبوة في حراسة الدين وسياسة
الدنيا

سُورَةُ النِّجَارِ

إِنَّ اللَّهَ

يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

الظلم؛ «والظلم منذر بخراب العمران»، كما قال ابن خلدون، ومن لوازم العدل المساواة أمام القانون دون تمييز بين مسلم وغير مسلم، وقد أقرت الشريعة مبدأ التساوي بين الخصمين أمام القضاء بصرف النظر عن ديانتهم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تعد وتحصى في كتب الفتاوى والقضاء.

- الحرية:

وهي أيضاً قيمة إسلامية وضرورة من ضرورات الوجود والاجتماع الإنساني، وقد وردت مشتقات الحرية عدة مرات في القرآن، مثل: الحر وتحرير ومحراً، وقد ضرب القرآن مثلاً يعبر عن أهمية الحرية وأثرها على اختيار الإنسان، فقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَزَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥)، والحرية هي مناط التكليف؛ إذ لا تكليف إلا مع الحرية، والكثير من التكاليف تسقط حال العبودية والإكراه، وكفل الإسلام الحريات كافة بما فيها الحرية السياسية التي تشمل فيما تشمل حرية التعبير عن الرأي وحرية انتقاد الحاكم والدعوة إلى مساءلته وعزله إن أخطأ، وبهذا التشديد على الحرية قوض الإسلام دعائم الاستبداد السياسي.

خلاصة ما سبق، أن الشريعة الإسلامية أرست قواعد الحكم الصالح الرشيد وحددتها في الاختيار الحر للحاكم والعدل والشورى والحرية والمساءلة والشفافية وما إلى ذلك، وهذه القواعد تتوافق مع المحاولات المعاصرة لبناء ما سمي بالحكم الرشيد. ■

تنفيذ النصوص إذ هي تختلف باختلاف الزمان والمكان.

وبهذا المعنى هو ليس حاكماً مطلقاً، بل هو مقيد بالكتاب والسنة والشورى التي ثبتت بالنص القرآني والممارسة النبوية، وقد ذهب بعض علماء السلف إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غنياً عن المشاورة، ولولا إرادة جعلها قاعدة شرعية لما أمره الله بها، ومما تجب ملاحظته في هذا السياق أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يضع إطاراً مؤسسياً تمارس الشورى من خلاله، وإنما ترك توجيهات ومبادئ عامة؛ وما ذلك إلا لاختلاف النظم باختلاف العصور واختلاف أحوال الأمة، بحيث يتعذر وضع إطار يناسب جميع العصور والأحوال، وإلا أهدرت المصالح وضُيق على الناس في أمور تدبير اجتماعهم الإنساني.

- العدل:

وهو القيمة المركزية الكبرى في الإسلام، وقد حث الله تعالى عباده على إقامة العدل بينهم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، واستناداً لهذا ذهب الفقهاء الذين بحثوا في أحكام الخلافة إلى أن هناك «دار العدل»؛ وهي دار الإسلام التي نصب فيها الإمام الذي يقيم ميزان العدل بين الناس، وهي واحدة من أهم مهامه، ويقابلها «دار الجور والبغي»؛ وهي ما كان الحكم فيها بغير ما أنزل الله؛ أي من غير العدل. والعدل إنما يكون في القضاء والنحاكم، وتوزيع الثروات العامة وتلقي الخدمات العامة، وإتاحة الفرص دون تمييز، وبغير العدل يكون

أفاضوا في الحديث عن المقومات التي يتأسس عليها هذا الحكم الراشد، وذكروا في ذلك أموراً كثيرة، منها:

- الاختيار الحر للحاكم ومحدودية صلاحياته:

وقد ثبت هذا المبدأ واقعيّاً من خلال عملية اختيار الخلفاء الأربعة، وتقرر نظريّاً في المباحث التي صاغها الفقهاء في كتب الأحكام السلطانية تحت بند «الإمامة» وتوصيفها بأنها «عقد» لا بد فيه من طرفين، والعقود لا تقوم إلا بالتراضي، وأنه يقوم على الاختيار الحر، والخليفة أو الحاكم بمقتضى العقد ليس بمعصوم ولا هو مهبط الوحي، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الإصافة في الحكم، كما أن طاعته ليست مطلقة؛ فهو مطاع ما دام على المحجة ونهج الكتاب والسنة، فإذا فارق الكتاب والسنة في عمله وجب عليهم عزله، كما يقول الإمام محمد عبده.

- الشورى:

إذا كانت الخلافة هي نيابة عن صاحب الشرع، أو كما عرفها الماوردي بالقول: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»، فمن الضروري تأمل الممارسة السياسية النبوية التي قامت على مبدأ الشورى، فكم من مرة استشار الرسول أصحابه في أمور الحرب والسياسة! وكم من مرة عدل عن رأيه لصالح رأي أشار به أحد أصحابه ورأى فيه مصلحة عامة للجماعة! لذلك ذهب الفقهاء إلى أن أهم ما يجب على الإمام المشاورة في كل ما لا نص فيه عن الله ورسوله، ولا إجماع صحيح يحتج به، وفي طرق

الحكم الرشيد.. بين مقاصد الشرع وإكراهات الواقع



د. وصفي عاشور أبو زيد

خلق الله تعالى الخلق وفطرهم على أمور، منها أن الحياة الإنسانية لا بد لها من نظام تُسير به، وتمشي عليه، وجعل هذا مركزاً في الحيوانات، فالغابة لها حاكم وهو الأسد، وأسراب الطير في السماء لها قائد يوجهها فتتبعه، وعالم النمل معلوم نظامه وترتيبته.

وإذا كان هذا معهوداً ومعلوماً بالضرورة من حياة الكائنات، فكيف بحياة الإنسان؟ ثم كيف به في ظلال النظام الإسلامي؛ عقيدة وشرعية، وأخلاقاً ونظاماً، ودستوراً للحياة يبسط سلطانه فيها على كل شيء؟!

لقد نزل القرآن الكريم وبيئت السنة النبوية معالم الاجتماع البشري الذي لا يمكن أن نتصوره بغير نظام يدير حياة الناس، ويقيم مصالحهم، ويسير أمورهم، ويدفع عنهم ما يضرهم، ولهذا كان تعريف ابن عقيل للسياسة فقال: «السياسة: ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح، وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نزل به وحياً»^(١).

التأكيد على وجوب «الحكم» رغم أنه فطرة:

ورغم أن النصوص الشرعية لا تؤكد كثيراً ما تدعو إليه النخبة السوية وما فطر عليه الناس؛ فإن الفقهاء أكدوا وجوب

إقامة الحكم أو نصب الحاكم؛ فهذا الماوردي يقول: «الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدتها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم.. هل الخلافة واجبة بالشرع أم بالعقل؟ واختلف في وجوبها: هل وجبت بالعقل أو بالشرع؟ فقالت طائفة: وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعه من الظالم، ويفصل بينهم في التنزع والتخاصم، ولولا الأولية لكانوا فوضى مهملين، وهمجا مضاعين»^(٢).

وما هذا الكلام إلا من أجل تشكيك البعض في أن وحي السماء قد نزل للحكم والسيادة، وفي عصرنا الحديث رفض هذا رفضاً قاطعاً على لسان علي عبدالرازق وغيره، فكان لا بد من بيان ذلك والاستدلال له.

الأنبياء جاؤوا بالحكم والسيادة بالشرع:

أرسل الله تعالى الأنبياء ليقوموا حكمه في الأرض، ويبسطوا سلطان ما أوحى إليهم به على الخلق، تاركين الناس وما يدينون، غير مكرهين لهم على اعتناق شيء أو الإيمان بشيء، وهذا لا يخص داود، وسليمان فقط، حين قال الله له: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا

الله أرسل الأنبياء ليقوموا حكمه في الأرض تاركين الناس وما يدينون غير مكرهين على اعتناق شيء

الأمة المسلمة تمتعت بـ«الحكم الرشيد» عقوداً من الزمن في عهد النبوة والخلافة الراشدة إلى عام ٤٠هـ

تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب» (ص: ٢٦)، وقال عن سليمان: «وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين» (النمل: ١٦)، أي ورثه في الحكم والعلم.

وإنما التأمل في سير الأنبياء كما ذكرها القرآن الكريم يجدها عامة في كل نبي، ففي التوراة مثلاً قال الله عنها: «إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشوا ولا تشترؤا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (المائدة: ٤٤)، وهكذا حتى ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأمره بأن يحكم بين الناس بما أنزل إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: «وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يدي من الكتاب ومهيئاً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق» (المائدة: ٤٨)، وقوله تعالى: «وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك» (المائدة: ٤٩)، وقوله عز وجل: «سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين» (المائدة: ٤٢)، والآيات في هذا كثيرة.

الحكم الرشيد في تاريخنا:

تمتعت الأمة المسلمة بـ«الحكم الرشيد» عقوداً من الزمان، في عهد النبوة والخلافة

مع ضعف الخلافة العثمانية تمكّن المستعمر من إحلال القوانين الغربية محل الشريعة الإسلامية

المقاصد التي يحققها النظام السياسي الإسلامي تدور مع حراسة الدين وتستهدف سياسة الدنيا به

وصبّ العالم الإسلامي في قالب الغربي الذي يقوم على المركزية والصراعية؛ حيث تسعى لفرض نموذجها على العالم وإقصاء النماذج الأخرى على عكس ما يفعله الإسلام حين يحكم فيفتح الساحة للجميع ويقدر الجميع ويكمل حق الجميع في التعبير والحياة في ظلال الدولة الإسلامية بقيمها وأخلاقها.

ونتيجة لهذا التغيير والتبديل، وتساوق عدد ليس قليلاً ممن يسمون أنفسهم «متقنين»، وتمكين الأنظمة لهم في المؤسسات الثقافية والإعلامية حدث هناك تغيير في قناعات المسلمين وثقافتهم، كما أحدث هذا إغراء لمتقنين من المفترض أن يكونوا أصلاء عقلاء فأصبحوا يسرون في هذا الركاب؛ إظهاراً لثقافتهم وتثويريتهم، وأنهم يتبنون -بزعمهم- إسلاماً متتوراً ووسطياً وواعياً بما انعكس سلباً على تشكيل العقل المسلم؛ استلاباً حضارياً، وتشكيلاً غربياً فكرياً، وصيباً لهذه الأنماط من الفكر والعقل في قالب النموذج الغربي!

ومن ضمن هذه المفاهيم التي تعرضت لهذا التشويه والتغيير كل ما يتعلق بـ«الحكم الإسلامي»، و«النظام السياسي الإسلامي»، وأنه لا نظام سياسياً في الإسلام، ولا نظام حكم إسلامياً، لا سيما بعد سقوط أو إسقاط الخلافة الإسلامية، وأصبح كل من ينادي بالحكم الإسلامي أو يرى أن الإسلام يتضمن نظاماً إسلامية ومنها «نظام الحكم في

الراشدة إلى عام ٤٠هـ، وبعدها لا يمكن أن نصف الحكم بـ«الرشيد»؛ لأنه فقد ركناً من أركانه؛ وهو «الشورى» التي توارت مع توريث الحكم، وهو ما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله، كما يرويه حذيفة بن اليمان، قال: كُنَّا قُعُوداً فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكْفُ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ النَّبُوءُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَهاجِ النَّبُوءِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً عَاصِياً، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكاً جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مَنَهاجِ نُبُوءَةٍ، ثُمَّ سَكَتَ»^(١).

ونحن اليوم على وشك انتهاء الحكم الجبري بعد انتهاء الملك العاص، وهذا يجعلنا نؤكد أن «الحكم الرشيد» هو معنى يوافق مصطلح «على منهاج النبوة»؛ حيث إن منهاج النبوة الموصوف بالرشد هو ما كان قائماً على الاختيار الحر من الرعية وبخاصة من بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ويتأسس على تحقيق مصالح العباد بحراسة الدين وسياسة الدنيا به كما قال الماوردي.

الغزوة الاستعمارية:

ومع ضعف الخلافة العثمانية -التي يمر على سقوطها اليوم مائة عام- تمكن المستعمر من بلادنا، وغير وبدل، وحول المفاهيم وحرفها، وغير الهوية الإسلامية، بإحلال القوانين الغربية محل الشريعة الإسلامية، وإحلال اللغات الغربية محل اللغة العربية،

الإسلام» أو «النظام السياسي الإسلامي»، أصبح موضع شبهة وتندر، ومحلاً للوصف بالتخلف والجهل والرجعية!

الواجب الآن نحو الحكم الرشيد:

لا نملك أمام هذا التشويه الغربي، والهجوم الاستشراقي على مفاهيمنا الإسلامية ومصطلحاتنا الشرعية لا سيما بعد أن أوشك «الحكم الجبري» على الرحيل، إلا أن ندحض هذا الغزو، ونكشف عواره، ونبين ضلاله، ونبرز ما عندنا من معالم حقيقية للنظام السياسي الإسلامي، وأنه نظام بحق يفاير بقية الأنظمة عبر تاريخها، وشاهد ذلك أن هذا النظام حكم وله تجربة استمرت ٤٠ عاماً، وكان ما بعدها مقارباً له لولا التوريث فقط، فنحن إذن لا نتكلم في الهواء، أو من الأبراج العالية، وإنما نتحدث من منطلق عقدي، ونصدر عن تجربة عملية عاشت الدنيا معها كل قيم الحق والعدل والخير والجمال!

وإن المقاصد التي يحققها النظام السياسي الإسلامي أو نظام الحكم في الإسلام لا يمكن أن يقف أمامها أحد، ولا أن ينكرها أحد؛ إذ إنها تدور مع حراسة الدين، وتستهدف سياسة الدنيا به، وإذا قلنا: الدين؛ فهو من عند الله تعالى، والله يعلم من خلق، وهو لطيف بعباده، وإذا قلنا: سياسة الدنيا به؛ فهي سياسة تحقق مقاصد الشرع، وترعى مصالح الناس. ■

الهوامش

- (١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن القيم: ١٢. دار البيان.
- (٢) الأحكام السلطانية: ١٥، دار الحديث، القاهرة.
- (٣) أخرجه أحمد (١٨٤٠٦) واللفظ له، والطيب (٤٣٩)، والبزار (٢٧٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

دور المؤسسات الدعوية في إرساء معالم الحكم الرشيد

«الشفافية، والمسؤولية، والمساءلة، والمشاركة، والاستجابة لاحتياجات الناس، هذه معايير المفوضية السامية لحقوق الإنسان، التابعة للأمم المتحدة لإرساء الحكم الرشيد، بينما هي أسس مركزية في تراثنا الإسلامي، استخلصها الغرب من قيم ديننا الخالدة، وتخلّف عنها ركب المسلمين والعرب، وهو ما يستدعي، وفق مفكر بارز ومختصين تحدثوا لـ«المجتمع»، السعي إلى إرساء معالم الحكم الرشيد من جديد، مع الاستعانة بدور مدروس للمؤسسات الدعوية.

تقوم به من أدوار غاية في الأهمية، فإنها ما زالت محبوسة داخل تنظيماتها، ولم تقم بدورها، فيما يتعلق بمفهوم الدعوة الحضارية والإنسانية، الواسعة التي تتعلق بعموم الأمة، وهو ما يتطلب تأسيس مؤسسات وقفية مرتبطة بمؤسسات الأمة الدعوية، كون أن الوقف هو الذي يساهم في أن يمتد عمل هذه المؤسسات للأمة لا للسلطة، وأن تصبح عينهم على الأمة وليست السلطة.

ويشدد د. عبدالفتاح على أنه في هذا الإطار لا بد من التمييز بين ما هو دعوي وما هو سياسي، حتى لا يتم حبس الدعوة في قمع العمل السياسي، مؤكداً أن هذا لا يعني الفصل، ولكن يعني الفصل في الأوان والوصل في المقام، حيث إن العمل الدعوي يمثل مظلة شاملة للعمل

المؤسسات الدعوية المعبرة بشكل حقيقي عنها، بينما الموجود أجهزة دعوية ملحقه بكيانات وتكوينات لتيارات دينية وإسلامية مختلفة، تمتلك فيها السلفية على تنوع تكويناتها جهازاً دعوياً، فيما يمتلك الإخوان المسلمون وغيرهم أجهزة أخرى، وكذلك النظم الرسمية لها أجهزة دعوية لم ترتق أيضاً إلى المستوى المؤسسي، حيث تسند إليها أدوار وظيفية تبريرية.

ويوضح أن هناك فارقاً بين مؤسسات دعوية على مستوى الأمة ومستوى الكيانات أو أجهزة ملحقه بها، فالمؤسسة الدعوية المرتبطة بالأمة تعتني بها وبرسالتها وتأمين المعاني الحضارية التي تتعلق بها، وتدفع الشبهات عنها، لكن الأجهزة الدعوية للكيانات والتنظيمات رغم ما

تحقيق: حسن القباني – مجاهد الصوابي:

في البداية، يوضح أستاذ العلوم السياسية المفكر السياسي الإسلامي د. سيف الدين عبدالفتاح، في حديث لـ«المجتمع»، أن هناك ٣ مستويات لقيام المؤسسات الدعوية بدور في إرساء معالم الحكم الرشيد، وهي: إنشاء مؤسسات دعوية حقيقية للأمة، والتمييز بين المجال الدعوي والمسار السياسي دون فصل، وامتلاك رؤية تنفيذية لإرساء تجربة الحكم الراشد.

ويؤكد د. عبدالفتاح، الذي يتولى مسؤولية مركز الحكم الراشد والسياسات العامة في مؤسسة قطر، أن الأمة الإسلامية تفتقد حالياً

المصري د. أحمد رامي الحوفي، في حديث له «المجتمع»: إن المؤسسات الدعوية تستطيع إرساء معالم الحكم الرشيد عبر تبني خطاب راشد يقوم على حسن ترتيب الأولويات وفقه الواقع، وتثقيف جمهورها بهذا الخطاب بشكل ممنهج ومدروس، لترسيخ القيم والمرتكزات الأساسية التي يقوم عليها الحكم الرشيد



**النادي: مطالبون
بتقديم الصورة
المصغرة لما
نريد داخل الأطر
الحالية**



**د. الحوفي: تثقيف
الجمهور بخطاب
راشد يساهم في
استعادة هذه
المعالم**



**د. فهمي: يلزمنا
دعاة مؤثرون
واهتمام بالتعليم
وإيجاد ظهير
نخبوي**



**د. عبدالفتاح:
نحتاج إلى
مستويات
إرساء معالم
الحكم الرشيد**

بما يؤدي إلى إنتاج أجيال جديدة تعي المفهوم وتتعج في تقديم ممارسات إيجابية له.

ويشير الحوفي إلى أن مرتكزات الحكم الرشيد كانت واضحة منذ بداية الدعوة الإسلامية، لذلك جاءت النتائج إيجابية في مراحل الخلافة الراشدة، بسبب وضوح المعالم في أذهان الصحابة، مؤكداً أن التحدي الكبير أمام المؤسسات الدعوية، في هذا المسار حالياً، هو تقديم النموذج والقودة في تبني قيم الحكم الرشيد مثل العدالة وتداول السلطة والحرية الراشدة والكرامة الإنسانية، لأن نجاحها سيؤثر في تقبل المجتمع والمؤسسات الأخرى لمنظومة الحكم الرشيد، كونهم شاهدوا رأي العين نموذجاً حياً نقل القيم من واقع الكلام إلى مساحات التنفيذ الفاعلة.

ويتفق الباحث في الفكر الإسلامي محمد فتحي النادي مع الرأي السابق، مؤكداً، في حديثه له «المجتمع»، أهمية أن تقدم المؤسسات الدعوية الصورة المصغرة للحكم الرشيد داخلها، قبل أن تدعو له، فالعديد منها لديها خلل في رؤية الحكم والإدارة وينتشر فيها النظام الأبوي وعدم المحاسبة وإبعاد الكفاءات، وفق رأيه.

ويضيف النادي أن إصلاح هذه المؤسسات الدعوية لنفسها مقدمة لازمة لإرساء أي معالم للحكم الرشيد في المجتمعات، وهو ما يتطلب الابتعاد عن أي اختيارات أثقلت كاهلها وأفقدتها إشارات فاعلة وكفاءات ذات ثقل، لبعث المشروع الإسلامي من جديد.

تجربته، وهو ما يحتم على المسلمين استعادة فترة الحكم الرشيد.

ويرى أن صناعة قيادات ورموز دعوية مبدعة، تعمل من داخل المنظومات الحاكمة، ولا تتصادم معها، قد يساهم في خلق وعي عميق وممتد لقيم الحكم الرشيد بين الحكوميين والحاكمين، بما يتييسر لهذه القيادات من حضور رسمي يستوعب وجودها ولا يمنع تأثيرها.

وضرب د. فهمي المثال بالعالم الشيخ الراحل محمد الغزالي الذي يعتبره مؤسسة دعوية بمفرده، استطاع على مدار عدة عقود وعهود وأنظمة أن يحافظ على تواجد الدعوي في المجال العام، بشكل مؤثر مكنه من تقديم النصيحة لأعلى مستويات الدولة في مصر، وهو ما يعتقد أن الإمام الراحل محمد متولي الشعراوي صنعه كذلك بحضوره الدعوي عبر تفسير القرآن.

ويشير إلى أن اهتمام المؤسسات الدعوية كالأزهر الشريف والهيئات الدينية القريبة من أطره في دول المنطقة؛ بالتعليم يعد مساراً من مسارات إحياء قيم الحكم الرشيد، عبر التوسع في تطوير المناهج بما يخدم هذه القيم، وإنشاء المزيد من المدارس والجامعات، بما يؤدي إلى تخريج نخبة دينية واعية تساهم في إنجاز المطلوب، مؤكداً أهمية عناية هذه المؤسسات كذلك بحركة النشر وإصدار الكتب، وتكوين ظهور إعلامي ونخبوي في ظهرها لتوصيل رسالتها وتوطئ كل القيم المنشودة للحكم في المجتمع ومؤسسات الدولة.

تقديم القودة الحسنة

من جانبه، يقول النقابي والسياسي

التربوي والحضاري والإنساني، بعضها قد يرتبط بالمجال السياسي، وتتميز بالإطلاق والشمول على عكس المسار السياسي الذي ينطلق لأغراض سياسية ويمكن أن يرتبط بمرجعية إسلامية، ولكن له من الآليات ما يختلف، مثل: تكوين الأحزاب ودخول الانتخابات، وهو ما يجب ألا تختلط الدعوة بمثله من أعمال موسمية ترتبط بتنظيمات سياسية، كون أن إلحاق الدعوة بالتنظيمات والشأن السياسي أمر حابس.

ويوضح أن المستوى الثالث في إرساء معالم الحكم الرشيد يقوم على ٣ مسارات، أولها التأهيل السياسي، وهذا ليس من مهام الرسالة الدعوية، أما المسار الثاني فهو قيام المؤسسة الدعوية الحقبة بتنشئة كوادر تربوية، تعنى بالتربية القيمية والحضارية، حتى يكون السياسة الجدد مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالقيم والأخلاق، وليس على غرار «ميكافيلي» الذي فصل بين القيم السياسية والقيم الأخلاقية، فيما يرى د. عبدالفتاح ضرورة أن تسفر هذه العملية الدعوية في نهاية المطاف عن عمل ينظر للإسلام كمنهج حياة شامل، السياسة جزء منه، بما يسمح بتأسيس الحكم الرشيد.

مسارات التوعية

بدوره، يوضح الأكاديمي وخبير الإستراتيجيات د. إبراهيم فهمي، في حديثه له «المجتمع»، أن مصطلح «الحكم الرشيد» ينتمي إلى التراث الإسلامي، واستخدمه الغرب من استخلاصاته لفترة الحكم الرشيد في التاريخ الإسلامي وبالتحديد فترة الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، ما ألهم الغرب للاستفادة من



اللافي: ضرورة التغلب على مشكلات الانقطاع عن المحيط وانعدام الرؤية الشاملة



الشريف: الشفافية والمسؤولية والمساءلة والمشاركة خصائص أساسية للحكم الرشيد



ضوينا: من أهداف المؤسسات الدعوية صناعة الداعية المدرك لمتطلبات الحكم الرشيد



أبو الحسن: الخطوة الأولى تتطلب تمتع المؤسسات الدعوية بالاستقلالية التامة

لـ«المجتمع»: إن من أهم أهداف المؤسسات الدعوية صناعة الداعية المدرك لمتطلبات الحكم الرشيد، وكما تنتج الداعية المهندس والداعية الطبيب كذلك نجد الداعية الإستراتيجي الذي يؤسس لتأسيس الحكم الذي يعتمد في مرجعيته للقرآن الكريم والسنة النبوية.

ويضيف د. ضوينا، الشاهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الداعية الأعظم الذي بنى دولة العدالة والحرية والمساواة والقانون والأخوة، وكل هذه معانٍ وأركان يقوم عليها الحكم الرشيد الذي يبني الإنسان على أسس علمية سليمة وبه يتشكل المجتمع الفاضل المكون للدولة الواعية، والمتكاملة في القيم والسلوك والمنهج.

ويؤكد الباحث الإسلامي الليبي خالد الشريف لـ«المجتمع» أنه لا بد من تعريف الحكم: بداية حيث يُقصد بالحكم كل عمليات الحكم والمؤسسات والعمليات والممارسات التي يتم من خلالها اتخاذ القرارات بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك وتنظيمها، فالحكم الرشيد صفة معيارية وتقييمية لعملية الحكم تلك.

ويضيف أن الخصائص الأساسية للحكم الرشيد، هي: الشفافية، والمسؤولية، والمساءلة، والمشاركة والاستجابة لاحتياجات الناس، وتعتبر المؤسسات الدعوية ركيزة من ركائز الحكم

كل رأي، وتقويم الخطأ وإن كان من رأس الحكم والدولة، واستقلال القضاء وتحريره من التبعية، وضمن تنفيذ ما شرعه ضماناً لمصالح العباد والبلاد.

ويؤكد د. أبو الحسن أنه لا بد أن تأخذ المؤسسات الدعوية دورها في تثقيف الجمهور بخطاب راشد يسهم في صناعة قيادات ورموز دعوية مبدعة، وهذا يساهم في خلق وعي عميق يجسّد القيم التي كانت في الحكم الراشد بين المحكومين والحاكمين، وهؤلاء هم الذين يقودون المؤسسات الدعوية، التي تستطيع إرساء معالم الحكم الرشيد، عبر تبني خطاب راشد على حسب ترتيب الأولويات وفقه الواقع، وتثقيف جمهورها بهذا الخطاب بشكل ممنهج، لترسيخ القيم والمركزات الأساسية التي يقوم عليها الحكم الراشد.

ويشدد د. أبو الحسن على أن الحكم الرشيد مركزاته واضحة، منذ بداية الدعوة الإسلامية، ولذلك جاءت نتائجه إيجابية في مراحل الخلافة الراشدة، بسبب وضوح المعالم في أذهان الصحابة، فلا بد من تقديم النموذج والقُدوة في تبني قيم الحكم كالعدالة والكرامة الإنسانية.

ويقول د. محمد أحمد ضوينا، أستاذ اللغة العربية والعلوم الشرعية بالجامعات السودانية،

ويقول د. أحمد بكار أبو الحسن، عضو المجلس الإسلامي السوري، مدير أكاديمية القرآن الكريم بإسطنبول، لـ«المجتمع»: إن المؤسسات الدعوية كل مؤسسة تعتني بنشر الدعوة الإسلامية، وتقوم على أساس الدعوة والإرشاد والنصح، ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإخراج جيل صالح ومصلح، وأن مفهوم الحكم الرشيد تحقيق التوازن بين السلطة التشريعية والتنفيذية، واستقلال القضاء، وتفصيل المراقبة الشعبية، وعدم فصل الدين عن الدولة.

ويضيف أنه بناء على ما تقدم، فلا بد من إيجاد مؤسسات دعوية مستقلة عن الأجسام والكيانات الأخرى، حتى لا تكون حبيسة جهة ضد جهة أخرى، وتتمتع باستقلالية المؤسسات الدعوية، تخدم مصالح الأمة، وتجمع الناس على حفظ ما يضمن تماسكها؛ كالحفاظ على الدين والهوية، ونشر الدعوة، وهذا يحتاج إلى دعاة مؤثرين، يلتزمون نهجاً عاماً، يجمعون الأمة على المتفق عليه.

كما يمكنهم إرجاع الدعوة على ما كان عليه الدعاة أيام الخلافة الراشدة، بحيث تتولى تقويم ولادة الأمور من قبل جميع الأمة الذين يسعون للإصلاح، على تحكيم شرع الله وتقديمه على



العراق، له «المجتمع»: إنه لكي تضطلع المؤسسات الدعوية والشرعية والعلمية بدورها الريادي في البناء المعرفي والفكري والعلمي، لا بد لها من أمرين أساسيين لنجاحها: أولاً: الرؤية الواضحة في كل شيء إجمالاً وتفصيلاً، وثانياً: القيادة الواعية المتناغمة المنسجمة مع بعضها، ثم تأتي بعد ذلك الخطة المرسومة للوصول إلى الهدف المنشود، والأفراد المقتنعين وما يستلزم معرفته في العمل البنائي.

ويضيف أن ذلك يتمثل في تحديد الأهداف القريبة والبعيدة، مشيراً إلى أن الواقع الذي تعيشه المؤسسات الدعوية، وانغلاقها أو انقطاعها عن محيطها، وانعدام الرؤية الشاملة، وتصدر النفعيين والمصلحين أو المأزومين نفسياً وفكرياً على رقاب تلك المؤسسات.

وهذه الإشكاليات بمثابة عراقيل تمنعها من أخذ دورها الريادي والقيادي في إرساء معالم الحكم الرشيد المنشودة في أمّتنا، ولذلك لا بد من مراجعة تلك المؤسسات لأهدافها وطريقة عملها للبحث عن القواسم المشتركة بينها لصالح المجتمع الذي يُحتم تشارك الجميع أو على الأقل الشعور بذلك بأن كل صغير جهد أو كبيره هو يصب في الحوض الكبير لهذه الأمة وإرساء معالم الحكم الرشيد فيها.

ويؤكد اللافي أن تجارب كثيرة نجحت كلياً أو جزئياً حسب ظروفها حينما وُجدت فيها قيادة ورؤية وخطة ورجال وكانت مشاركة في قرارات مصيرية تخص بلدانها وأمتها. ■

الفساد، تعتمد جهود الحكم الرشيد على مبادئ مثل المساءلة والشفافية والمشاركة لإعداد تدابير مكافحة الفساد، وقد تتضمن المبادرات إنشاء مؤسسات مثل لجان مكافحة الفساد، وإيجاد آليات لتبادل المعلومات، ورصد استخدام الحكومات للأموال العامة وتنفيذها للسياسات. وللمؤسسات الدعوية دور مهم في مكافحة الفساد عبر تقديم النماذج الجيدة في تولي المناصب وأداء المهام، وكذلك نشر الوعي المستند إلى ثقافة المجتمع الإسلامي في محاربة الفساد؛ لذلك نجد أن المؤسسات الدعوية عليها دور كبير في إرساء معالم الحكم الرشيد من خلال نشاطها الدعوي في المجتمع وذلك عبر الآتي:

١- نشر الوعي المجتمعي من خلال المحاضرات والدروس عن أهمية الحكم الرشيد ومتطلباته.

٢- المساهمة في إعداد القوانين واللوائح المنظمة للحكم الرشيد عبر مؤسسات الدولة.

٣- إعداد قيادات في كل المستويات لكي تتولى المناصب في الدولة وتستطيع تنفيذ مبادئ الحكم الرشيد.

٤- المساهمة في تقديم الخدمات العامة للمجتمع سواء عبر المؤسسات الدعوية أو مؤسسات الدولة، بحيث تتميز هذه الخدمات بتحقيق شروط الشفافية والأمانة والحرص على استفادة المواطن بأكبر صورة ممكنة.

من جانبه، يقول د. سعيد محمود اللافي، رئيس رابطة أئمة وخطباء ودعاة

الرشيد، فهي تؤدي دوراً كبيراً ومهماً في توعية المجتمع ونشر ثقافة الحكم الرشيد بين أفرادها التي تعتمد على التوعية بمبادئه التي من أهمها: - المؤسسات الديمقراطية (أو الشورية): وهي طرق تسمح للرأي العام بالمشاركة في وضع السياسات سواء من خلال المؤسسات الرسمية أو المشاورات غير الرسمية، كما تنشئ آليات لإدماج فئات اجتماعية متعددة في عمليات اتخاذ القرارات، لا سيما على الصعيد المحلي، وقد تشجع كلاً من المجتمع المدني والمجتمعات المحلية على صياغة مواقفه بشأن قضايا تهمّه والتعبير عنها.

- تقديم الخدمات العامة: تؤدي الإصلاحات التي يفرضها الحكم الرشيد، في مجال توفير الخدمات الحكومية للناس، بحسب قدرات الدولة على الوفاء بمسؤوليتها في توفير المنافع العامة الأساسية؛ مثل الحق في التعليم والصحة والغذاء، وقد تتضمن مبادرات الإصلاح آليات متعلقة بالمساءلة والشفافية وأدوات السياسة العامة التي تراعي الاعتبارات الثقافية من أجل ضمان توفر الخدمات للجميع وقبولهم لها، علاوة على سبل مشاركة الرأي العام في اتخاذ القرارات.

- سيادة القانون: حيث تساهم المؤسسات الدعوية في إصلاح التشريعات، بهدف تحسين تنفيذ هذه التشريعات ورفع مستوى التوعية العامة بشأن الإطار القانوني الوطني والدولي وبناء القدرات وإصلاح المؤسسات.

- مكافحة الفساد: فيما يتعلق بمكافحة

المؤسسات الدعوية والحكم الرشيد.. جرس تنبيه من الانزلاق نحو الاستبداد



يعتبر الحكم الرشيد من المفاهيم التي تجذب الحواضن السياسية والاجتماعية والثقافية؛ نظراً لالتصاقه بمبادئ العدل والإنصاف والإشراك في تدبير الشأن العام الذي تنتج عنه قيم الشفافية والمشاركة في المسؤوليات. كما أن هذا المفهوم من المصطلحات المناسب استخدامها في حقل الدراسات الحقوقية في المجتمعات المسلمة؛ نظراً لارتباط دلالاته بمبادئ الحكم في صدر الإسلام، وأيام الخلافة الراشدة.

تحقيق - عبدالغني بلوط:

يؤكد مفكرون وباحثون، في حديثهم لـ«المجتمع»، أن المؤسسات الدعوية من أهم المؤسسات المجتمعية التي تساهم في إرساء مبادئ هذا الحكم الرشيد، وتنبه الى خطورة الانزلاق نحو الاستبداد، بالنظر إلى لب عملها المرتكز على الإصلاح والدعوة إليه بخطاب موجه إلى الحاكم والمحكوم على حد سواء، والمستند إلى حركية دؤوبة تكاد ترتبط بعملها اليومي.

إذ إن هذه الحركية لا بد أن تثمر وعياً في المجتمع والدولة يمتد إيجابياً على مستوى الممارسة، وتسهم بذلك في تحسين شؤون الناس في دينهم وديارهم، ولن يتأتى ذلك إلا باستعادة قيم العدل والمساواة التي ارتبطت بظهور الإسلام، وإرساء مبادئ الحكم في صدره.

في هذا السياق، يبين الباحث الأكاديمي المغربي فيصل الأمين البقالي أن العمل الدعوي جزء من العمل الإصلاح، وأنه من لوازم الإسلام لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠)،

وقوله سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: ٧٨).

ويؤكد البقالي أن الدعوة إنما هي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، كما أشارت إليه بوضوح الآيتان المشار إليهما، كما تأتي الدعوة أيضاً بمعنى النصيحة، كما أثر من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدُّيْنُ النَّصِيحَةُ» (جزء من حديث الذي رواه تميم الداري، صحيح مسلم)، فلما سأل الصحابة عن الجهات التي تكون لها النصيحة، أجابهم بأنها «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

فكان الأئمة (القائمون بالأمر أو الحكام) والعامّة ضمن من تكون لهم النصيحة، أو ضمن محلّ الدعوة، أو ضمن دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طبعاً على اختلاف خصائص النصيحة وطبيعتها من مقام إلى مقام، فالنصيحة لله ليست هي النصيحة لكتابه، وليست هي لرسوله، وقطعاً أنها ليست هي نفس النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، كما أن النصيحة لعامّة المسلمين تمتاز عن النصيحة لأئمتهم لامتياز كل

محل عن الآخر.

ويشير المتحدث ذاته إلى أن العمل الدعوي يتجه إلى الناس وإلى الساسة، أو إلى المجتمع وإلى الدولة، فالدعوة في المجتمع لها مقصدان؛ أولاً: تحصيل الوعي بالحال وتحصيل الوعي بالمآل، وثانياً: تحصيل الإرادة على الاستقامة، وتحصيل الانخراط في الدعوة لأجل الاستدامة (استدامة العمل الدعوي)، والدعوة في الدولة لها مقصدان؛ أولاً: تحصيل الوازع (ضد المنكر)، وثانياً: تحصيل الدافع (لأجل المعروف).

وعليه، فإن العمل الدعوي بهذا الاعتبار هو آلية تغذية مزدوجة، تزرع في البنية الاجتماعية فتثمر حالة وعي واستقامة، وتزرع في البنية السياسية فتثمر حالة مصداقية وفاعلية، فتكون بحق محركاً لدينامية مدنية وسياسية إيجابية وفاعلة، وذلك هو وسم الحكم الرشيد.

خطاب وممارسة

من جانبه، يؤكد الأكاديمي المغربي حفيظ هروس، الباحث في الفكر الإسلامي، أن المؤسسات الدعوية المستقلة يمكن أن تساهم في إرساء مبادئ الحكم الرشيد على

مستويي الخطاب والممارسة.

ويوضح أن الخطاب الدعوي اليوم يغلب عليه الوعظ المستغرق لأمر الآخرة وأحكام العبادات، وخصوصاً عند الدعاة المستقلين، الذين يناون بأنفسهم عن الاشتغال بالأمر العامة، لكن المؤسسات الدعوية تتميز بتنوع حقول الاشتغال ومأسستها، لهذا يجب أن يمتد خطابها الدعوي ليشمل إظهار مبادئ الحكم الرشيد في الإسلام، وإشاعتها بين الناس، ومن هذه المبادئ الشورى والعدل والحق في نقد الحكام وتقويمهم استناداً إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وغيرها.

أما على مستوى الممارسة، وبما أن المؤسسات الدعوية في أصلها جمعيات لها هيكل تنظيمي، فهي بهذا الاعتبار لها قدرة على تجسيد مبادئ الحكم الرشيد، وذلك من ناحيتين؛ بناء مؤسساتها الداخلية على هذه المبادئ، وخصوصاً مبدأ الشورى، وتربية المنتسبين إليها على هذه المبادئ، باعتبار أن هذه المبادئ لا يمكن تجسيدها في مؤسسات الدولة إذا كان المجتمع خالياً منها، كما يشرح المتحدث ذاته.

بدوره، يؤكد المفكر والأكاديمي المغربي عبدالهادي المهادي أنه إذا تجاوزنا نقاشاً ضرورياً حول مفهوم «الحكم الرشيد»، وسلمنا بأننا متفقون على خطوطه العريضة، والمتمثلة في مبادئ الشورى والعدل، والشورى التي تحدد مشروعيته التأسيسية، والعدل بشقيه السياسي والاقتصادي، الذي يصوغ مشروعيته الإجرائية، فإننا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام سؤال الجهات السياسية والمجتمعية التي تساهم في إرساء مبادئه الكلية والتفصيلية، وسنجد أن المؤسسات الدعوية، رسمية كانت أم مجتمعية، تقف ضمن مكونات الصفوف الأولى التي تحمل على عاتقها هذه المسؤولية، إذ يُعتبر هذا الهمّ التنظيري أحد أهم ما يشكل ماهيتها وهويتها.

ولكي تقوم تلك المؤسسات بهذا الدور



المهادي:
استقلالية القرار
وإنفاق المال
ضرورة لتفعيل
دور المؤسسات
الدعوية



مايابي:
توسيع مجالات
التثقيف
الإسلامي ليشمل
الحقوق والأخلاق
والمعاملات



هروس:
خطاب
المؤسسات
الدعوية يجب
أن يظهر مبادئ
الشورى والعدل
والحرية

خصائص الحكم الرشيد بين أبناء الأمة حتى تكون ثقافة عامة لا يمكن الخروج عليها. ويوضح أن العلماء والمؤسسات الدعوية بإمكانهم المشاركة في ترسيخ قيم الحكم الرشيد إذا تم الانطلاق من مرتكزات ذات أهمية كبرى، أولها: توسيع مجالات التثقيف الإسلامي ليتجاوز الوعظ والإرشاد المتعلق بالعبادات ليشمل الحقوق والأخلاق والمعاملات والكثير من المجالات، وثانياً: إحضار مبادئ الدستور الإسلامي (القرآن الكريم) في تفاصيل الحياة السياسية؛ لأن القرآن رائد في فرض قيم الحكم الرشيد، مثل العدالة والشورى والمشاركة والمساواة، وثالثاً: إتاحة الفرصة للمؤسسات الدينية لتكون لها لمسة على الفكر والخطاب السياسي.

ويشير إلى أنه من المهم في هذا المجال أن يركز الدعاة على إقناع الأمة أن الإسلام دين شامل وفيه تبيان لكل شيء، وقد تحدث القرآن الكريم عن مبادئ الحكم الرشيد تفصيلاً، ونفذها الخلفاء على أرض الواقع تنزيلاً، ولا يمكن للأمة أن تنهض حضارياً إلا باستعادة هذه القيم.

على أحسن وجه، يوضح المتحدث ذاته، يجب أن تتمتع أولاً باستقلالية تامة في الرأي والقرار، وقبل ذلك استقلالية مالية تحميها من كل ضغوط ومساومة على اجتهاداتها وتقديراتها.

ثم يجب، ثانياً، أن تُشكل من نفسها قوة في اتجاهين: الاقتراح والاقتحام، الأولى لها طابع اجتهادي تنظيري، وهنا يُطرح عليها سؤال التوفر على المختصين والخبراء وأهل النظر، والثانية ذات صبغة «ضغطية»، وعبرها يطرح عليها سؤال امتلاك آليات مُدافعة السلطة السياسية، وعبرها تفرض الاحترام والتقدير والإنصات، وبدون هذه القوة ذات الرأسين لن يكون لتلك المؤسسات سوى دور التابع.

ثم يأتي دور عنصر اليقظة، فالمؤسسات الدعوية يجب أن تكون بمثابة الجرس الذي ينبّه المجتمع لكل انزلاق نحو الاستبداد.

استعادة القيم

أما الأكاديمي الموريتاني حبيب الله بن ماياي، أستاذ الحوار الديني والحضاري في المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، فيؤكد أن المؤسسات الدينية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي قادرة على ترسيخ

«الأتمة».. والحكم الرشيد



هدف «الأتمة» تحسين كفاءة العمليات الحكومية لتسهيل حصول المواطنين على الخدمات



مصطفى عاشور
كاتب مهتم بالشأن الثقافي

والممارسات التي يتم من خلالها اتخاذ القرارات بشأن القضايا ذات الاهتمام المشترك وتنظيمها، ومن ثم فالحكم الرشيد يمنح معايير للحكم على ممارسات السلطة وأدائها، من خلال التزامه بحقوق الإنسان السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

أما هدف «الأتمة» فهو تحسين كفاءة وفعالية العمليات الحكومية، من خلال تسهيل حصول المواطنين على الخدمات والمعلومات الحكومية، ومن خلال مساعدة موظفي الحكومة على العمل بكفاءة أكبر، وتحسين جودة الخدمات الحكومية.

قيم الحكم الرشيد

يفترض الحكم الرشيد توفر مجموعة من القيم، منها: الشفافية، والمسؤولية، والمشاركة، والالتزام بحقوق الإنسان، وتتجلى العلاقة بين حقوق الإنسان والحكم الرشيد، في عدة مجالات، منها:

- المؤسسات الديمقراطية: مثل البرلمانات والنيابات، فاحترام حقوق الإنسان في تلك المؤسسات يتيح مشاركة الرأي العام في عملية اتخاذ القرار، والرقابة.

- الخدمات العامة: يفترض الحكم الرشيد توفير الخدمات الحكومية للناس،

تسللت التكنولوجيا الرقمية لكافة مناحي الحياة؛ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وصارت جزءاً من الحياة الإنسانية، لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها، أو اتخاذ موقف عدائي منها، وهذه السطوة الرقمية المضرة، يظل لها وجهان كبيران؛ أحدهما يعطي الكثير من التيسير والرفاهية والسرعة في الإنجاز، أما الآخر فهو يسيطر على الإنسان سيطرة شبه شاملة.

ومن المجالات التي طرقتها التكنولوجيا الرقمية مجال الحكم والسياسة، سعياً لتحقيق ما يسمى بـ «الحكم الرشيد»، من خلال اللجوء إلى ما يسمى بـ «الأتمة»^(١)، ورغم غياب تعريف دقيق لمفهوم الحكم الرشيد، لكن يمكن إجماله بأنه «كل عمليات الحكم والمؤسسات والعمليات

وتحسين قدرة الجهاز الحكومي على خدمة الناس، والوفاء بالتزامات الحكومة تجاه المواطن، وتوفير الحقوق الأساسية للمواطن، وتيسير حصوله عليها، في إطار من الشفافية والمساواة والمشاركة.

- سيادة القانون: ويفرض ضرورة وجود دستور شارك المجتمع في صنعه، وخضوع الجميع للمساواة أمام القانون، وتوفير مؤسسات تعمل على صيانة القانون وتحقيق سيادته.

- مواجهة الفساد: الفساد لا يشعشع إلا مع غياب الشفافية وغياب العدل وغياب المساواة، وغياب الرقابة، وحضور الاستبداد.

لقد أثرت «الأتمة» في الطريقة التي تدير بها الحكومات دولاب الدولة، ففي الدول المتقدمة، التي تتوفر فيها الشفافية والمحاسبة والكفاءة الإدارية والحرية السياسية واحترام حقوق الإنسان، جاءت «الأتمة» لتضيف تيسيراً ورفاهية للمواطن، في تعامله مع الحكومة ومؤسساتها، فكان المواطن أكثر اطلاعاً على كفاءة الحكومة في الإدارة وأكثر رقابة لقدرتها على الإنجاز، وهو ما ساهم في تحسين الأداء الحكومي، ووصول خدمات الحكومة إلى الغالبية العظمى من المواطنين بكفاءة وسرعة.

وأتاح «الأتمة»، في تلك التجارب، قدراً كبيراً من الشفافية، من خلال توفير المعلومات للمواطن، وتيسير اطلاعه عليها، والتفاعل معها، والاستفادة منها، كما ساهمت «الأتمة» في تقليل الفساد بنسبة مذهلة، ومكنت من الكشف عنه بصورة كبيرة، ومارس المواطن قدراً من الرقابة، من خلال التبليغ عن الفساد وإيصال الخطأ للمستويات الإدارية الأعلى، وإلى الإعلام الذي أدى دوراً مؤثراً في الرقابة في الدول الديمقراطية.

ومن أهم ما وفرته «الأتمة» للوصول إلى مفهوم الحكم الرشيد، في الدولة المتقدمة، الكشف عن سرعة الاستجابة الحكومية للاحتياجات والاهتمامات والشكاوى والمشكلات التي يرفعها المواطن عبر الآليات الرقمية، وسمحت للمستويات الإدارية والسياسية الأعلى بالاطلاع الجيد على حقيقة موقف

«الأتمتة» وسيلة وليست غاية وانفصالها عن القيم العليا في الحكم يحوّل الدولة إلى وحش

.. ورغم فوائدها قد تؤدي إلى ترسيخ القيم الاستبدادية مع تغييب السلطة للحريات في المجتمع

«الأتمتة» لا تخرج عن كونها طريقة إدارة لكن تبقى الحكومة الراشدة هي التي تحترم حقوق الإنسان

قد تنطوي على آثار سلبية بالنسبة لحقوق الإنسان، خاصة في ظل أن التكنولوجيات الرقمية وصلت إلى نصف سكان الدول النامية. من ناحية ثانية، هناك مؤشرات على تراجع الديمقراطية عالمياً، وربط دراسات بين «الأتمتة» وتراجع الديمقراطية، وهو ما ظهر في دراسة لجامعة أكسفورد إبان الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام ٢٠١٦م، وتؤكد دراسات أخرى أن «الأتمتة» لا يتوقف تأثيرها على الجانب الاقتصادي، فحسب، ولكن يمتد للمجال السياسي.

والحقيقة أن «الأتمتة» لا تخرج عن كونها أداة، أو طريقة إدارة، لكن تبقى الحكومة الرشيدة والراشدة هي التي تحترم حقوق الإنسان، وتلتزم الشفافية في ممارستها، وتنتهج العدل وتعلي من سيادة القانون، وتتبع سياسية تنموية ناجحة وناجزة، تحاصر الفقر، وترفع مستوى معيشة المواطن، فالفقر والإفقار من أكثر البيئات غير الصالحة للديمقراطية والحكم الرشيد، فتلك البيئات استبدادية قمعية ذات مستويات عالية من الفساد، وذات كفاءة إدارية متدنية، وتطبيق «الأتمتة» في تلك التجارب البائسة يزيد معاناة المواطن، ويحول دون تحقيق الحكم الرشيد، ومن ثم فالإنسان وحقوقه تأتي قبل «الأتمتة»، واللجوء إلى الآلات الذكية لإدارة الدولة الفاشلة، فالأتمتة ليست حلاً سحرياً للوصول إلى الحكم الرشيد. ■

الهوامش

(١) «الأتمتة» مصطلح حديث، تعرفه قواميس غربية بأنه استبدال أجهزة الكمبيوتر والآلات محل الأفراد، لأداء المهام مع تقليل العنصر البشري حضوراً وتدخلًا إلى أدنى مستوى.

القرن السابع عشر الميلادي، تلك الدولة التي يتنازل فيها المواطن عن حقوقه وحرياته من أجل الحفاظ على سلامته وأمنه، فوفق «هوبز» تتحصل الدولة على سلطة مطلقة، باعتبارها تجسيداً لإرادة المجموع، ولا يمكن مقاومة تلك الدولة التتين!

و«الأتمتة» -رغم أنها صيحة العصر، ورغم فوائدها العظيمة- قد تؤدي إلى ترسيخ القيم الاستبدادية، مع تغييب السلطة للحريات في المجتمع، وهنا تتحول «الأتمتة» لأداة للسيطرة والإخضاع الكامل، وإحدى أدوات السلطة لقمع الحرية وأودها، وإحدى تقنيات الاستبداد، وتحول السلطة إلى كائن غير مرئي، وهي حالة لم تعرفها البشرية من قبل.

فالاستبداد -رغم بشاعته وقسوته- كان يُمارس ضمن حدود الطاقة البشرية الطبيعية، وليس ضمن قدرة الآلة الهائلة، التي يتحكم فيها عدد قليل جداً من المبرمجين وأصحاب السلطة وكبار رجال الحكم والإدارة في ملايين الناس، من خلال تعامل غير مرئي، وربما تؤدي تلك الحالة إلى إزاحة مفهوم الحياة عن ملايين الناس، لتتحوّل الحياة حول تلك «الأتمتة» وبرامجها المعقدة غير المرئية.

تؤكد البيانات والإحصاءات أن ثلثي الاقتصاد العالمي يعتمد على الخدمات وليس السلع، وأن «الأتمتة» اتجاه متصاعد في العالم، خاصة أن أكثر من ٤٠٪ من الوظائف في العالم يمكن «أتمتها» في السنوات القادمة.

ويشير تقرير للاتحاد الدولي للروبوتات إلى زيادة كثافة الروبوتات في الصناعات، فوصلت عام ٢٠٢١م إلى ١٢٦ قادرة على الإحلال مكان ١٠ آلاف عامل، هذا الاتجاه حذرت منه تقارير للأمم المتحدة، من أن التكنولوجيات الرقمية قد تهدد الخصوصيات، وتؤدي إلى تقليص الأمن وتفاقم عدم المساواة، وأنها

المواطنين من الخدمات التي تقدمها الدولة، وفق مؤشرات واضحة، بعيداً عن أي تلاعب في استطلاعات الرأي، التي قد تجرى بصورة تجامل الحكومة، ولا تفصح عن الموقف الحقيقي للمواطن.

الوجه الآخر لـ«الأتمتة»

«أتمتة» الحكم أو حوكمته، لا يعني الوصول للحكم الرشيد؛ لأن هذا يعني أن تتحول آليات ممارسة الحكم إلى قيم، ووسائل تحقيق القيم العليا للمجتمع من خلال السلطة، لتصبح قيماً مستقلة، فهناك مخاوف أن تتحول «الأتمتة» إلى قيمة في حد ذاتها، ومسعى من جانب السلطة لتحقيقه، دون أن تشغل بتحقيق القيم العليا للحكم؛ كالعدل والشفافية والحرية والمساواة.

ولعل هذا ما حذر منه المفكر عبدالوهاب المسيري، في كتاب «العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة»، بتأكيد أن «صياغة القوانين العلمية بدقة بالغة، والمعرفة العلمية والتنظيم الرشيد، قد تساعد كلها على التوصل إلى الطرق المناسبة لإنجاز الأهداف الاجتماعية، ولكننا لا تساعدنا على الاختيار بين قيم مطلقة، أو أهداف متناقضة، أو على اتخاذ قرارات أخلاقية، فالعلم في نهاية الأمر لا علاقة له بقضية اختيار الحياة الفاضلة؛ فثمة هوة شاسعة بين المعرفة العقلانية والحكم الأخلاقي».

أما الخطورة الثانية، فالأتمتة، تظل وسيلة وليست غاية، وانفصالها عن القيم العليا في الحكم من عدل ومساواة وحرية يحول الدولة إلى وحش يحكم قبضته على المجتمع بصورة شبه كاملة، من خلال السيطرة على كل المصالح والموارد والتحكم فيها، بل إن «الأتمتة» قد تحول السلطة إلى «الدولة التتين» التي تحدث عنها «توماس هوبز» في

**النظام الدولي
يشهد تحولات متسارعة
ربما تقود لإعادة تشكيل
نظام جديد**

مشروع النهوض الإسلامي وتحولات النظام الدولي



” عاطف الجولاني

لا يتحرك المشروع الإسلامي
للهوض بواقع الأمة في فراغ،
بل يتفاعل تأثراً وتأثيراً متبادلاً
مع البيئة السياسية بمستوياتها
المختلفة إقليمياً ودولياً؛ الأمر
الذي يزيد من أهمية القراءة
العميقة والموضوعية للتحوّلات
التي يشهدها النظام الدولي،
والوقوف على الفرص المتاحة
ومساحات التحرك التي يمكن
استثمارها من أجل توفير قوة زخم
ودفع مهمة لتقدم مشروع نهوض
الأمة واستئناف دورها الحضاري.

كالهند والبرازيل وتركيا، تُزاحم على مساحات النفوذ الدولي، وقد تزايدت الاحتجاجات خلال السنوات الماضية على غياب العدالة والتوازن عن مؤسسات النظام الدولي القائم، وعلى هيمنة قوى محددة على القرار السياسي الدولي رغم تغيّر الظروف والمعطيات التي أفرزت المؤسسات الدولية التي عبّرت عن موازين قوى أعقبت الحرب العالمية الثانية، وتطالب العديد من القوى الصاعدة ببناء منظومة دولية جديدة أكثر توازناً وانسجاماً مع المتغيرات التي طرأت على موازين القوى الدولية.

٣- نشوء كتلتا دولية مؤثرة ذات طابع سياسي واقتصادي كمجموعة «بريكس» التي انطلقت فكرتها عام ٢٠٠٦م، وضمت الصين وروسيا والهند والبرازيل، والتحقّت بها جنوب أفريقيا عام ٢٠٠٩م، فيما توسعت المجموعة مطلع العام ٢٠٢٤م بانضمام ٥ دول، هي: إيران والسعودية ومصر والإمارات وإثيوبيا، ولم تُخفّ الدول التي أنشأت هذا التكتل الاقتصادي العالمي سعيها لكسر هيمنة الغرب وإنهاء نظام القطب الواحد.

ثمة قناعة تتبلور بأن النظام الدولي يشهد تحولات جوهرية متسارعة، ربما تقود خلال سنوات قادمة لإحداث تغييرات تسهم في إعادة صياغته باتجاه تشكّل نظام جديد يُهيّ حالة الأحادية القطبية، ويتيح الانتقال إلى نظام ثنائي أو متعدد الأقطاب، مع عدم استبعاد السيناريو الانتقالي لنظام بلا أقطاب دولية، ومن أبرز هذه التحولات:

١- ارتفاع حدة الاستقطاب الدولي، وارتفاع حُمى التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية التي ما تزال تتربع على سدة النظام الدولي أحادي القطبية، والصين الطامحة بتعزيز نفوذها وحضورها الدولي بخطوات متدرجة، ودون اندفاع أو تعجل غير محسوب العواقب.

كما أن حالة التوتر بين روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تفاقمت بصورة كبيرة خلال العامين الماضيين على وقع الحرب الروسية الأوكرانية التي لا تلوح مؤشرات إلى قرب انتهائها، حيث تحولت إلى حرب استنزاف يصعب التنبؤ بمآلاتها.

٢- بروز قوى دولية جديدة صاعدة أو ناشئة،

٤- تراجع مكانة القانون

الدولي الإنساني ومؤسساته التي شكلت جزءاً من منظومة النظام الدولي القائم، بسبب الفشل في تطبيق قرارات المحاكم الدولية ضد الأقوياء والمتحكمين في القرار السياسي الدولي، كما برزت حالة من الانتقائية في ملاحقة المتهمين بجرائم الحرب والإبادة.

إضافة إلى ذلك، فإن إسراف الولايات المتحدة في استخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الذي يُعدّ الأداة التنفيذية لقرارات

الجمعية العامة ومحكمة العدل الدولية، قد أسهم في تعطيل عمل تلك المؤسسات وحرمانها من القدرة على أداء مهامها في تحقيق العدل وحفظ الأمن والسلم العالمي، وقد برزت ازدواجية المعايير بصورة صارخة في تعامل الدول الغربية مع الحرب في أوكرانيا ومع العدوان الصهيوني على قطاع غزة.

٥- تزايد فجوة القيم الاجتماعية على الصعيد العالمي، وبروز خلافات وانقسامات جوهرية بسبب سعي القوى الغربية المهيمنة لفرض هويتها الثقافية ومنظومتها الأخلاقية على بقية دول العالم بالقوة والإكراه وسن التشريعات القانونية التي تجرّم المخالفين، وأوضح مثال على ذلك مساعي تلك القوى خلال السنوات الأخيرة لترويج حقوق المثليين وفرضها على مختلف دول العالم، وهو ما حمل مؤشرات خطيرة وتسبب بخلاف شديد بين تلك الأطراف التي جعلت من حقوق المثليين قضية عالمية ذات أولوية قصوى، والكثير من دول العالم التي أعلنت تمسكها بهويتها الثقافية ومنظومتها الأخلاقية التي تُعلي شأن الأسرة وتتمسك بها كركيزة ووحدة اجتماعية لا بديل عنها، وفي مقدمة تلك الأطراف الدول الإسلامية وروسيا والصين.

المشروع الإسلامي.. والتفاعل مع

التحولات الدولية:

والسؤال المهم: كيف يتفاعل المهتمون بمشروع الأمة النهضوي مع هذه التحولات في النظام الدولي في ظل الازدواجيات والتحديات التي يواجهها؟

لقد شكلت الأحادية القطبية والهيمنة الغربية



على القرارات والسياسات الدولية واحداً من أهم المعوقات التي اعترضت طريق مشروع النهوض الإسلامي، حيث نظرت الأطراف الغربية طوال العقود السابقة إلى مشروع النهوض الإسلامي نظرة شك وارتياب، وتعاملت معه كتهديد ينبغي مواجهته وعرقلته بكل الوسائل الممكنة، ولا شك أن اهتزاز النظام الدولي القائم، وبروز مؤشرات لاحتمالات تغييره خلال سنوات قادمة، يمثل تطوراً مهماً وفرصة ينبغي دراسة كيفية استثمارها.

كما أن تزايد الانتقادات لغياب معايير العدالة عن النظام الدولي المتحكم بمقدرات العالم وبقراره السياسي، وتصاعد المطالبات بإنشاء نظام دولي أكثر عدلاً وتوازناً، يشكل فرصة في اتجاهين: الأول: إبراز قيمة العدل والإنصاف التي يقوم عليها المشروع الإسلامي ويُعلي من شأنها كقيمة حاكمة لنظامه السياسي، والثاني: الإسهام في زيادة النقاش والجدل وممارسة الضغوط من أجل إنهاء هيمنة القوى المتفردة على المؤسسات الدولية التي كانت القضايا العربية والإسلامية الضحية والمتضرر الأكبر من سياساتها وقراراتها. ولا شك أن بروز قوى دولية صاعدة تسعى لتعزيز حضورها العالمي يمثل فرصة للتواصل والتفاعل معها، سعياً لتعظيم القواسم المشتركة واستثمار أدوارها في اتجاهات إيجابية تخدم مصالح الأمة ومناصرة قضايا شعوبها المضطهدة. وفي هذا السياق، يشار إلى الموقف السياسي

الهيمنة الغربية على السياسات الدولية شكلت أهم معوقات مشروع النهوض الإسلامي

والأخلاقي المتقدم لدولة جنوب أفريقيا التي رفعت قضية ضد الكيان الصهيوني في محكمة العدل الدولية واتهمته بارتكاب جرائم إبادة، وطالبت بوقف عدوانه على قطاع غزة.

وتمثل قضية استهداف الدول الغربية لمنظومة الأخلاق والقيم الثقافية للشعوب والحضارات المختلفة عامل استفزاز يوفر مساحة تنسيق وتعاون في مواجهة الهجمة الغربية، وفي التحرك من أجل حماية القيم المشتركة

وتعزيز مكانة الأسرة والأخلاق والحفاظ على خصوصيات الهوية الثقافية لشعوب العالم، بعيداً عن الوصاية ومنطق الغضب والإكراه.

وإذا كانت الكثير من الدول العربية والإسلامية تغفل عن أهمية إعلاء منظومة القيم وحمايتها وتعطي الأولوية للحفاظ على علاقاتها مع القوى الغربية المهيمنة، فلا شك أن المهتمين بالمشروع الإسلامي ينبغي أن يكونوا أكثر المعنيين بالتعامل مع هذا التحدي والاستفزاز الغربي، وبالبحث عن مساحات التنسيق المشترك مع الأطراف الدولية المعنية بالحفاظ على قيمها وخصوصياتها الثقافية.

ختاماً، تبدو المساحة واسعة أمام المشروع الإسلامي ليخطو خطوات مهمة على طريق التقدم وتعزيز الفاعلية وتحقيق الحضور واستثمار التحولات والاهتزازات في النظام الدولي، لكن ذلك يحتاج رؤية ناضجة ومبادرات عملية لا تتأخر ولا تقوت الفرص.

ولا شك أن الانحياز والتواطؤ الغربي مع الكيان الصهيوني في جرائم الحرب والإبادة التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين في قطاع غزة، قد شكّل صدمة قوية للوعي والشعور العربي والعالمي، ومثل سقوطة مدوياً للقيم الغربية وما روجته من مزاعم حول الحريات وحقوق الإنسان والطفل والمرأة؛ ما يجعل من اللحظة الراهنة فرصة سانحة للتحرك واستثمار حالة الوعي لدى شعوب العالم من أجل كشف زيف الدعاوى الغربية والتواصل مع الشعوب التي عبرت عن سخطها ورفضها لسياسات حكوماتها. ■

الدولة القُطرية العربية والبحث في الإمكان الحضاري



سيادة القانون والدستور والمحافظة على الحريات العامة، لكن هذا يظل إلى وقت يتعرض فيه نظامها السياسي للخطر، فتتقلب إلى نظام مستبد يطلب الحماية من الجيش، وذلك حتى تستقر الأوضاع على نظامها ومصالحتها الطبقية الخاصة.

٢- الدولة الوطنية الثورية:

هذه الصورة تقوم على إعلان الحرب على كل أشكال الاستعمار، وتعمل على تأميم كثير من مؤسسات الاقتصاد، وفي الطريق تأخذ كذلك مؤسسات التعددية السياسية (الأحزاب، الصحافة والإعلام عامة)، وتقوم ببعض الإسهامات الاجتماعية التي تجذب بها الطبقات الأكثر حرماناً وفقراً في المجتمع بهدف تشكيل قاعدة اجتماعية تشكل سنداً لها في الاستبداد بالسلطة، أو في الإخفاقات التي يمكن أن تقع فيها، مضحية بالمفكرين والمتقنين وأصحاب الرأي والحركات المعارضة التي تمارس النقد لأفعالها.

ويتحول في هذا النمط رأس الدولة إلى القائد الأوحده الذي يجب أن ينقاد له الجميع، ويمثل هو مصدر القانون والتشريعات وكل شيء، ويطرح فكرته عن الأمن التي تقابل كل أفكار النهضة والتقدم التي يتم التضحية بها مع فئة المفكرين والمتقنين وأصحاب الرأي، فهذه

الفرعونية والمصرية والوطنية والطورونية والفينيقية وغير ذلك من المفاهيم المشكلة للحقبة الجديدة، في اختفاء متعمد لمفهومين أساسيين، هما: الأمة، والخلافة، وإعلاء مفهوم «الدولة» والترويج له بأنه الخلاص الجديد من كل صور الفقر والمرض والجهل والتخلف.

أنماط الدولة القُطرية ونظم الحكم:

إن فكرة الدولة القُطرية لم تخرج من بنات البيئة العربية ذاتها، وإن قامت بعملية ارتدادية لمفاهيم القبيلة والسلطة الأبوية وتقاليد الاستبداد والطبقية التي لها جذور في البيئة العربية لما قبل الإسلام، وفي ضوء ذلك نشأت عدة أنماط لصورة الدولة القُطرية العربية الجديدة، تتماشى مع طبيعة هذه التقاليد وخصوصيتها في بيئتها الجديدة، ويمكن أن نلاحظ هذه الصور في الأنماط الآتية^(١):

١- الدولة البرجوازية الوطنية:

هذا النمط من الدولة القُطرية يقوم على مبادئ الليبرالية في الاقتصاد والسياسة، وتعلن

الدولة البرجوازية الوطنية تقوم على مبادئ الليبرالية في الاقتصاد والسياسة وسيادة القانون والدستور



د. حسان عبدالله حسان

أستاذ أصول التربية المساعد بجامعة دمياط - مصر

قامت الدولة القُطرية من نقطة التراجع الحضاري العربي الإسلامي، متحالفة مع النهج العلماني الانتقائي (لكنه الهجين المشوش)، من حيث استبعاد مفهوم الدين عن حركة المجتمع الجديد الذي ينتمي إلى نظام عالمي بدأ في التشكل على أنقاض الخلافة الإسلامية (العثمانية)، هذا النظام الجديد يقوم على تبني مفاهيم الفلسفة المادية بشقيها: الغربية (النظام الرأسمالي)، والشرقية (النظام الشيوعي).

وتم تدشين بناء الدولة القُطرية العربية في هذا الإطار الفكري الذي يتجاوز نقطة الدين، وأحل محله العلمانية التي سوف تمثل نهجاً عربياً مشوشاً في نظام الحكم والإدارة والثقافة، مزودة بمفاهيم القومية -على أساس التزوين الشكلي-

العرب فقدوا إمكانية قيام وحدة عربية لا على أساس قومي أو اقتصادي أو سياسي أو حضاري

صالحنا الحضاري والمادي، ولكنه يمتد إلى نظرنا إلى ماضينا، فيعيد تشكيله على غير ما قام في الواقع الماضي، كما أنه يقيم التبعية والتجزؤ، لا في الواقع وحده، ولكنه يقيمها في الوعي ذاته^(١). كما أن البحث في ملفات حقوق الإنسان ووضع الإنسان العربي يوضح بلا شك تراجع أي مسار للإمكان الحضاري، حيث يحل القمع والتدهور للحقوق السياسية والعدالة الاجتماعية وتراجع مؤشرات الحقوق الأساسية في الصحة والتعليم في شطر كبير من دول الوطن العربي، في مقابل التهديد الدائم باستبدال كل شيء في مقابل الحصول على الاستقرار والأمن!

كما فقد العرب لكل إمكانية لقيام وحدة عربية لا على أساس قومي، ولا على أساس اقتصادي، ولا على أساس سياسي، ولا على أساس حضاري؛ حيث غابت عوامل الوحدة الروحية والثقافية والدينية بين نظم الحكم الجديدة التي طرحت تصوراتها الخاصة لكل قُطر على حدة. ■

الهوامش:

(١) انظر قراءات مهمة في هذا الطرح:

- محمد سعيد طالب: الدولة الحديثة والبحث عن الهوية، عمان، دار الشروق، ١٩٩٩م.

- برهان غليون: اغتيال العقل.. محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٣، ١٩٩٠م.

- محمد عابد الجابري: إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي، بيروت، مجلة المستقبل العربي، عدد (١٦٧)، ١٩٩٣م.

(٢) طارق البشري: «الإصلاح والتجديد في أمتي صناعة محلية وحضارية» في: الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج، حولية أمتي في العالم، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية، ٢٠٠٦م، ص ٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٨.

الدولة الريعية ظهرت منذ بداية الحقبة النفطية ورغبة النظام الرأسمالي في الهيمنة على هذه المنطقة

الحضارية للأمة العربية، يشير المفكر الراحل المستشار طارق البشري إلى ذلك بقوله: «إن من أخطر وجوه الإفساد القيمي في هذا الشأن، أن ما كان يعتبر عاملاً داخلياً صار يعتبر عاملاً خارجياً في تقويم أحداث التاريخ نفسه، وانعكس الوضع، فصار ما هو عامل خارجي كالحملة الفرنسية على مصر، صار يعمل أحياناً كما لو كان عاملاً داخلياً، وذلك عندما ينظر إليه البعض عنصراً مساهماً وباعثاً للنهوض والتقدم.

وقد جرى له هذا التقويم تحت إملاء المفهوم السائد عن «وحدة العصر» بالمعنى الأممي والحضاري، وما ترتب على ذلك من اغتراب والتحاق برباط التبعية مع الغرب، والالتحاق المعني هنا ليس التحاقاً مادياً ولا سياسياً ولا اقتصادياً، ولكنه التحاق يتعلق بالوعي^(٢).

ويضيف موضحاً اتصال واستمرار حركة التغريب وتغييب الوعي وتحقيق الانفصال عن الجذور والتاريخ والتشتت الحضاري بقوله: «وأحسب أن القيمة السائدة لدينا الآن عن المعاصرة أو وحدة العصر الحديث بمعناها الأممي والحضاري هي من أسس ما يروج من قيم ومفاهيم تنتج اختلاط الوعي بالذات، وهي من أسس ما نعانى من اغتراب واستلاب حضاري، ولا يقتصر أثرها على إفساد نظرنا إلى واقعنا ووقائعا

من منظور خاص

بنا ومتميز،

ويرعى



الدولة الثورية تقوم على إعلان الحرب على أشكال الاستعمار وفي الطريق تأخذ مؤسسات التعددية السياسية

الصورة تجمع بين «البروليتارية» في الشكل، و«الأوليغاركية» في الحكم، وتستخدم القمع سلاحاً لفرض تصوراتها وسياساتها.

٣- الدولة الريعية:

هذا النمط أخذ في الظهور منذ بداية الحقبة النفطية العربية، ورغبة النظام الرأسمالي العالمي في الهيمنة على هذه المنطقة لأسباب طبيعية وجيوسياسية، ومع زرع الكيان الصهيوني، وفي الوقت نفسه عقد اتفاقات عقدية لاستخراج الوقود الأحفوري ومشتقاته بأدواته التكنولوجية، في مقابل حياة الرفاهية المادية وشراء التكنولوجيا وتحقيق اللذة المادية لشعوب هذه الدول.

ومن حيث نظام الحكم، أعادت الدولة الريعية مفاهيم القبلية والعشائرية لتكوين طبقة رأسمالية متحالفة مع النظام الرأسمالي الذي توحدت معه في أهدافها الخاصة (البقاء في الحكم، الرفاهية المادية).

الدولة القُطرية.. والإمكان الحضاري:

هل حققت الدولة القُطرية في أي صورة من صورها فرصة للإمكان الحضاري، الحقيقة لا يمكن الإجابة بنعم أو نصف نعم، بل يمكن القول: إن ما حققته الدولة القُطرية في صورها المتعددة، كل ما هو ضد الإمكان الحضاري، على سبيل المثال: شكلت التبعية السياسية للمنظومة الغربية الحصاد المر لهذه التجربة، وأنموذج غزوة أشد وضوحاً وتبيناً لهذه النتيجة.

لجانبا

في

الحضاري، فشكّل التغريب

والعلمانية منعطفاً خطيراً

للحالة

علمنة الخلافة.. الدولة المسلمة في ثوب الحداثة!



العالم الإسلامي شهد محاولات عبثية لتشكيل نموذج مشوه للدولة الغربية بمسحة إسلامية



د. مervat سمير

منذ دخول موجات الاحتلال الغربي (الاستعمار) في القرن التاسع عشر الميلادي، ثم ما تبعه من سياسات توسعية أتت على حساب معظم بلدان العالم، جاء دور العالم الإسلامي الذي كان لا يزال تحت حكم الخلافة العثمانية ليتم التوسع على حسابه.

ومن المثير للتأمل أن الخلافة الإسلامية لم تلبث أن تسقط منذ بدء المطامع التوسعة الغربية تلك، فقد جاءت تلك الدول الأوروبية لتحل محل الحكم الإسلامي الذي استقر منذ قرون في هذه البقعة من العالم، وهذا الإحلال كان يستهدف إلغاء الحكم القائم من الوجود، في ثنائية بدت منذ ميلادها صفرية؛ إما الغرب أو الحكم الإسلامي؛ وهو ما تولّد عنه السؤال الذي لا نزال نبحث عن إجابته: هل يمكن التوفيق بين الخلافة الإسلامية والشكل الحديث للدولة ممثلاً في صورتها القومية الحديثة؟

١- أن النظام الحضاري الغربي قد فرض نفسه بالقوة على العالم الإسلامي، ولا يزال حتى يومنا هذا يفرض نفسه بالقوة القاهرة على العالم الإسلامي، وهو ما يحول دون رغبة حقيقية في دراسة ذلك النموذج بشكل هادئ متوازن بعيداً عن الرفض المطلق الناتج عن الكراهية التي تفرضها القوة الغاشمة.

٢- أن النماذج الحضارية الغربية الكبرى ممثلة في شكل الحكم وأسلوب تنظيم العلاقة بين الدين والدولة وغيرها إنما نبعت من تطور سياسي وثقافي وتاريخي غربي بحث لم يمر بها العالم الإسلامي، ومحاولة فرضها بالقوة تشوه السيرة التاريخية العربية والإسلامية، وتدفع العالم الإسلامي للبحث عن معضلات لم يعرفها، وترهقه أكاديمياً

إن الدولة هي ذلك المجال المادي والمعنوي الذي يعكس ثقافة المجتمع وهويته، ومنذ ظهور الاحتلال الغربي والمحاولات لفرض الخلفية الحضارية التي جاء بها المحتل على الدول الإسلامية؛ سواء ثقافياً عبر البعثات العلمية وفرض اللغة الأجنبية أو تقويض دور الدين الإسلامي، أو سياسياً عبر إدخال نموذج جديد من الإدارة والحكم لم يعهد به أبناء العالم الإسلامي وفرضه بالقوة الغاشمة، وهو ما تولّد عنه عدة معضلات لا نزال نعاني الانزلاق إليها والاحتباس داخلها دون مخرج حتى يومنا هذا، فرضتها مجموعة من الأسباب التي لا تزال قائمة وتحول دون حسم القضايا الإشكالية التي فرضتها، ومنها:

الدولة القومية التي قامت على عدااء الدين لم تكن الشكل الأمثل للحكم السياسي بالعالم الإسلامي

الحركات الإسلامية تماهت مع الدولة القومية عبر استخدام آلياتها والاندماج في تشكيلاتها السياسية

الحديثة التي قامت ابتداءً على عدااء للدين لم تكن الشكل الأمثل للحكم السياسي في العالم الإسلامي، وإن فرض ثنائية الدين في مقابل الدولة على العالم الإسلامي قد شوه الدولة المسلمة فيما بعد الاستقلال، وأجج الاستغراق الفكري والثقافي في مشكلات غير حقيقية وغير منطقية لم يتمكن المسلمون من أن يجدوا لها حلاً؛ لأن التساؤل من الأساس كان غير ممكن وغير مطروح.

ودفعت تلك الثنائية إلى إفساد الدين والدولة معاً في العالم الإسلامي، وأحالت الدين إلى أداة للنزاع فيما بين السلطة السياسية والمعارضة، أو ربما بين السلطة السياسية والمجتمع بأسره، بل أصبح الدين أداة للنزاع الحضاري فيما بين المسلمين والغرب، بينما لم يكن من الضروري أن يقع الصراع بين المسلمين والغرب إذا لم يفرض الغرب علمانيته بالقوة الغاشمة ضد المسلمين ويسلط على رعايهم كراهية الدين.

إن الحل الأمثل هو العودة إلى تحديد الدين من الساحة السياسية ليس باعتباره أزمة يتم التخلص منها، وإنما لأن الدين الإسلامي هوية حضارية ومُسلّمة بديهية موجودة في نفوس وعقول أبناء العالم الإسلامي لا تحتاج إلى فرض نفسها بالقوة، ولا يجدر محاربتها وتشديد الحصار عليها من جانب السلطة السياسية، ومن ثم البدء في التساؤل عن أهم المشكلات التي يعانيها العرب والمسلمون في واقعهم كالاستبداد والاحتلال والتخلف الحضاري والفقر وتراجع التعليم والثقافة، وهي المشكلات الحقيقية التي يجب الشروع في تقديم حلول لها والخروج من مأزق الدين والدولة الذي فرضه عليها الآخر لإشغالنا عن قضايانا واحتياجاتنا الحقيقية. ■

الحديثة، عبر استخدام آلياتها والاندماج في تشكيلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حتى باتت العلمنة العامل المستقل في معادلة العلاقة بين الإسلام والدولة القومية الحديثة، فتوزعت الحركات الإسلامية فيما بين الحدود القومية منفصلة عن بعضها بعضاً، وملتزمة بالشكل القومي الحديث، وانضوت تحت إطار القوانين والتشريعات السياسية القائمة، وأصبحت جزءاً من العمليات الانتخابية والسياسية القائمة، وبمرور الوقت حدث ما سماه بعض الأكاديميين علمنة المشروعات الإسلامية لمصلحة سيادة الدولة القومية الحديثة.

دين وسياسة

كانت نتيجة تبني الغرب لفكرة العلمانية من ناحية وفرضها بالقوة على العالم الإسلامي، ثم وراثة الأنظمة العربية ما بعد الاستقلال لسلح العلمانية للقضاء على المعارضة الإسلامية والتكثير المستمر الذي تعرض له رموز العمل السياسي الإسلامي؛ سبباً رئيساً في تطرف قوى لاستخدام الدين كأداة وسلاح في ساحة الصراع بين الأنظمة والمعارضة، فأصبحت الخلافة بمثابة المعارضة المهدور حقه، وباتت العلمانية هي الاستبداد، وتشكلت ثنائية جديدة نتجت عن محاولات غربية لفرض النموذج الحضاري الغربي في غير موضعه، مما شوه المسيرة الحضارية الإسلامية التي لم يكن الدين فيها في صراع مع الدولة، ولم يكن أداة في الصراع السياسي، بل كان خلفية حضارية وثقافية ينتمي إليها الجميع حتى غير المسلمين، ولم تكن محل نزاع أو تساؤل أو مراجعة.

ولذلك يمكن القول: إن الدولة القومية

وفكرياً في نقاشات لا تقدم حلولاً لمشكلاته الحقيقية؛ وهو ما يعطل التطور الحضاري الإسلامي.

علمنة الخلافة أم أسلمة الدولة

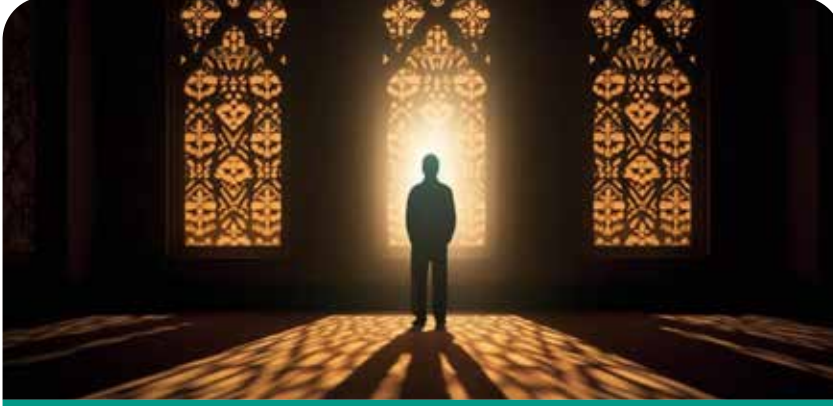
الغربية الحديثة؟

لقد نتج عن فرض النموذج الغربي الحديث للدولة على العالم الإسلامي فيما بعد سقوط الخلافة أن شهد العالم الإسلامي محاولات عبثية لتشكيل نموذج مشوه للدولة الغربية بمسحة إسلامية، ومن ناحية ثانية ظهرت الحركات الإسلامية التي لم تلبث أن نادى باستعادة الدولة الإسلامية ممثلة في الخلافة الضائعة، وهما الأمران اللذان سارا جنباً إلى جنب في عالما العربي والإسلامي منذ مرحلتى الاحتلال وما بعد الاستقلال. وتشى التجارب العربية المتنوعة بما آلت إليه الدول العربية فيما بعد الاستقلال وبخاصة الكبرى منها من فشل كبير على سائر الأصعدة، سواء من جانب الأنظمة السياسية التي تبنت العلمنة مع التمسك ببعض الأسلمة الشكلية، أو على صعيد الحركات الإسلامية التي حاولت استعادة الخلافة داخل وعاء الدولة العلمانية الغربية التي كانت قد استقرت وثبتت أركانها في كثير من الدول.

ويمكن إرجاع ذلك الفشل على صعيد الأنظمة السياسية إلى ما سعت إليه تلك الأنظمة التي اتسمت بالاستبداد والطفغان من تفكيك سائر القوى المعارضة لسلطتها التي أصبحت فيما بعد عصر الصحوة الإسلامية في السبعينيات بالأساس حركات إسلامية، وفي إطار ذلك السعي لتقويض الحركات الإسلامية تم تعزيز آليات العلمنة بقوة في الدول العربية الإسلامية الكبرى لمجابهة نفوذ الحركات الإسلامية، وذلك عبر عدد من الأساليب تمثلت في احتكار الدولة للدين والسيطرة على المؤسسات الدينية وإخضاعها للسلطة السياسية، وحظر الأحزاب الدينية، وتبرير كل تحرك ضد الرموز والجماعات الإسلامية باعتباره إرساء للمواطنة وحقوق الإنسان!

أما على صعيد الحركات الإسلامية، فقد تماهت بشكل كبير مع الدولة القومية

بين العلمنة والرّهْبنة.. أيّ فرصة للاستئناف الحضاري؟



عالمنا العربي والإسلامي أخذ مفهوم العلمانية بُعداً تصادميةً مع الدين لتصفيته والقضاء عليه



ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

تؤكد الحقيقة التاريخية أن الشعوب العربية والإسلامية تمتعت بحكم الشريعة في ظل الخلافة الإسلامية، ولم تُبتل بطرح إشكالية علاقة الدين بالسياسة والدولة، وهي التي صنعت حضارة إسلامية امتدت من القرن الثامن إلى الخامس عشر الميلادي، كأطول حضارة في تاريخ الإنسانية، لا تزال آثارها شاهدة عليها إلى الآن.

لولا القطعة الزمنية السوداء للحركة الاستعمارية المعاصرة، التي كانت من بين نتائجها محاولات «رّهْبنة الإسلام» و«علمنة الدين»، مع أن شؤون الحكم والسياسة جزء أصيل في بناء التصور الإسلامي عن الله والكون والإنسان والحياة، إذ تضمنت رسالة الإسلام بُعداً قانونياً ودستورياً سياسياً وعسكرياً صريحاً، وقد تأصل ذلك البُعد في الفقه السياسي القرآني بالمزج بين النبوة والسياسة بالجمع بين العدل والإحسان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)؛ أي بين الحق والقوة، وبين الدين والدولة، فالدولة في الإسلام ضرورة في نقل الأحكام الشرعية العملية من دائرة الالتزام الأخلاقي الفردي إلى دائرة الالتزام القانوني الجماعي.

ومع أنه هناك توجّه تصالحي جديد بين الدين والدولة في الغرب نفسه، وهو الذي

صدر لنا العلمانية كديانة جديدة بديلة عن الدين، ومن هذا التوجّه دعوة البابا في الإرشاد الرسولي عام ٢٠١٢م إلى «العلمانية الإيجابية» كضرورة للدين والسياسة معاً، التي يعني بها «تحرير المعتقد من ثقل السياسة، وإغناء السياسة بإسهامات المعتقد، بحفظ المسافة اللازمة، والتمييز الواضح، والتعاون الذي لا غنى عنه لكليهما».

مع التأكيد على الاحترام المتبادل بين السياسة والدين، ورفض السقوط في التجربة المستمرة للخلط أو للتحارب، وذلك بالذهاب إلى التسليم بالدور الاجتماعي للدين، وكأنه يعترف بأن جوهر العلمانية هو تراجع الجاذبية الاجتماعية للدين، والشعور الجماعي بالاستقلالية عنه، كمسار تفقد فيه المؤسسات الدينية ورموزها النفوذ على الثقافة والمجتمع والدولة.

إلا أن عالمنا العربي والإسلامي أخذ مفهوم العلمانية -باستعارة مضامينها الفلسفية الغربية- بُعداً تصادميةً مع الدين، كمؤامرة لتصفيته والقضاء عليه، ولم يقتصر دور العلمانية على تحييد الدين وفصله عن الدولة فقط، بل ذهب إلى

أبعد من ذلك بالتدخل في الدين نفسه، بفرض مفاهيم جديدة لممارساته في الحياة العامة والخاصة، بل وإجبار الناس على أنماط جديدة فيه، ومنها الرّهْبنة، كحياة دينية انعزالية عن الناس، منفصلة عن الواقع والشأن العام، دون مراعاة الاختلاف الجوهري بين الإسلام والمسيحية، وأن البُعد السياسي للعلمانية بفصل الدين عن الدولة يتناقض جوهرياً مع طبيعة الإسلام ووظيفته في سياسة الدنيا بالدين.

فهو ليس مجرد عقائد لاهوتية غيبية أو شعائر تعبدية منعزلة، إذ شملت تشريعاته الدنيا والآخرة، والبُعد الروحي والمادي، والحياة الخاصة والعامة، وعمّت أحكامه الفرد والمجتمع والدولة، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨)، وهو الدين الكامل الذي استوعب مظاهر الحياة جميعاً، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

لقد مثّلت المحاولات المستميتة لإقصاء الإسلام عن الدولة والحياة المبرر القوي الأبرز لتأسيس الحركة الإسلامية المعاصرة

محاولات إقصاء الإسلام عن الدولة والحياة مثلت المبرر الأبرز لتأسيس الحركة الإسلامية

الإسلام ليس مجرد شعائر تعبدية بين العبد وربّه بل مادة ثورية ضد الظلم والفساد والاستبداد

الأمة لا تزال تمتلك عناصر الإمكان للاستئناف الحضاري من جديد رغم محاولات العلمنة والرهينة

مطلع القرن العشرين، في إطار الاستئناف الحضاري للأمة من جديد، إلا أن ما وقع لما يسمونه علمانياً «الإسلام السياسي» من إخفاقات على مستوى تجارب المشاركة السياسية ونماذج الوصول إلى الحكم أحدثت زلزالاً فكرياً ومفاهيمياً مدوياً، يؤشر على انخراط الحركة الإسلامية في مرحلة مختلفة، وانتقالها إلى طور جديد، ودخولها في مخاض لولادة وبعث آخر، تنسجم فيه سنة التجديد مع الحتمية النصية في الحديث النبوي الشريف: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، وذلك بالانتقال في القرن القادم من مرحلة الصّحوة على مستوى خط المجتمع إلى مرحلة النهضة على مستوى خط الدولة، ومنها إلى الحضارة وأستاذية العالم. فالإسلام ليس مجرد شعائر تعبدية فردية بين العبد وربّه، بل هو كذلك مادة ثورية ضد الظلم والفساد والاستبداد، وأن التدين الشعبي العام أصبح يتجاوز -كمّاً ونوعاً- القدرات التنظيمية للحركة الإسلامية، وأن التعامل الاستثنائي أو الإقصائي للأنظمة معها لا يزيدها إلا تعاطفاً وحضوراً بشكل أو بآخر، وأن فشل الأنظمة في الاحتكام إلى الديمقراطية وفي تحقيق التنمية وفي احترام القيم السياسية والإنسانية هي من أكبر عوامل استمرار المشروع الإسلامي، ووقود وجوده وعنصر قوته اليوم وغداً، وأن صندوق الديمقراطية الحقيقية في العالم العربي والإسلامي يتحدّى فرضية «ما بعد الإسلامية»، ويسقط أطروحة ما بعد «الإسلام السياسي»، لأنه لم ولن يُنْجَب في

الأخير إلا ما ينسجم مع هوية الشعوب المسلمة وعمقها الحضاري.

لقد تجاوز التدين الشعبي القدرات التنظيمية للحركة الإسلامية، وانتقلت الصّحوة الإسلامية من الظاهرة التنظيمية إلى الظاهرة المجتمعية، وهو ما يجعل العلمانية والرهينة تنهوى أمام امتدادات الفكرة الإسلامية السياسية شعبياً ورسمياً، عمودياً وأفقيّاً، تفرض الاعتراف بأن الإسلام هو حضارة الغد، وأن له قوة ذاتية، فهو المادة الحية للحضارة، وهو ما يؤهله للبقاء، مهما تعثرت محاولات تمثله البشري سياسياً.

ويرى العلامة عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩ - ١٩٤٠م) أن الأمم والحضارات تمر بثلاث مراحل، فقد جاء في تفسيره (ص ١٢٢، ١٢٣) قوله: «الأمم كالأفراد تمر عليها ثلاثة أطوار: طور الشباب، وطور الكهولة، وطور الهرم»، ويقول: «وما من أمة إلا ويجري عليها هذا القانون العام، وإن اختلف أطوارها في الطول والقصر، كما تختلف الأعمار...»؛ لأنه كما يقول: أعمار الأمم مقدره بأجلها في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤)، فذكر إنشاء الأمم على إثر الهالكين، في مثل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الأنبياء: ١١)، وذكر طور شباب الأمة وقوتها في مثل قوله تعالى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٢٩).

ويرى برؤية سننية رائعة، كمصلح لا

كمؤرخ فقط، بأن هناك إمكاناً للأمة في الاستئناف الحضاري من جديد، فيبحث عما يستنهض الهمم ويبعث الأمل، وأن الحضارات ليست بالضرورة تنتهي بالاستئصال والفساد، بل قد يُقتصر طورها الأخير على مجرد العذاب، إما بالاحتلال والعدوان، أو بالاستبداد والظلم، أو بالفساد والانحلال، ويستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الإسراء: ٥٨)، فالأية تنبه إلى نوعين من العقاب؛ الإهلاك أو العذاب الشديد، وهذا النوع الثاني من العقاب هو ما جعل منه ابن باديس موضوعاً لشرح فكرته حول تجديد حياة الأمة وانبعاثها، وإمكانية استئنافها الحضاري، ودخولها في دورة حضارية جديدة.

لا تزال الأمة تمتلك، وإلى الآن، عناصر الإمكان للاستئناف الحضاري من جديد، رغم محاولات العلمنة والرهينة، فهي تمتلك رصيد التجربة الإنسانية والتاريخية المتمثلة في النبوة الخاتمة، وتمتلك صحة النص السماوي المحفوظ والمستوعب للأفكار والقيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وتمتلك العقيدة الصحيحة عن الله والكون والإنسان والحياة، وتمتلك التجربة الواقعية السابقة للدولة والحضارة الإسلامية، وتمتلك امتداد الأنموذج التطبيقي عبر الزمان والمكان، وفق الحقيقة النصية: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».



تطور الوعي السياسي في عصر الخلفاء الراشدين

فيأخذ برأيهم.

الحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية: وأدرك أبو بكر الدوافع السياسية لحركة الردة، وأنها تعني تفكيك الدولة لصالح القبيلة، فواجهها في قوة وحسم، ولما عزل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، خالد بن الوليد عن القيادة العامة للجيش، أراد بعضهم استئثار حمية خالد للتمرد، فكان رده: «أما وابن الخطاب حي فلا»، وهي رواية شديدة الدلالة على حرص القوم؛ قادة وجنداً، على وحدة الدولة وطاعة الخليفة، حتى في حالات الغضب التي قد تطيش فيها الأحلام.

توازن الحقوق والواجبات بين

الخلفاء والرعية:

أدرك الخلفاء أن اختيار الأمة إياهم لا يضمني عليهم قداسة ولا عصمة، وقد قال الصديق في خطبته لما تولى الخلافة: «إني وليت عليكم ولست بخيركم»، وأعلن عمر في بدء خلافته أنها ابتلاء ابتلاه الله به، وأنه أجير عند الأمة، ولا غرو فالأمة -ممثلة في قادة الرأي فيها- هي التي فرضت للخلفاء

حق الأمة في اختيار خليفتها، فقال: «من بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تَغَرَّةً (أي: مخافة) أن يُقتل»، وظلت الشورى وسيلة لتولي الخليفين من بعده.

ملازمة الشورى واتساع مجالها:

لم تكن الشورى عملاً سياسياً يستدعيه الناس حين يموت الخليفة أو يحضره الموت، بل كانت منهجاً للحكم، وشواهد ممارسة الخلفاء للشورى في حكمهم أكثر من أن تُحصى، وكان أمير المؤمنين عمر يُحضر الشباب النابهين مجالس شوره ويقول: «لا يمنع أحدكم حداثة سنه أن يشير برأيه، فإن العلم ليس على حداثة السن وقدمه، ولكن الله يضعه حيث يشاء»، وتزداد دوائر الشورى لتسع وضع الخطط العسكرية للوصول إلى أفضلها، والمسائل الفقهية التي جدت، وكان أبو بكر إذا أتته المسألة جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، واستشار عمر في حد الخمر، بل كان يشاور النساء في بعض ما يخصهن؛



”أ.د. حمدي شاهين

تأسيس نظام الخلافة وإقرار حق

الأمة في اختيار قادتها:

إن المسلمين، رغم عظم مصيبتهم في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يشغلهم ذلك عن النظر في مستقبلهم، وقد كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة، فاجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة للتباحث في الأمر، فكان اختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه أول الخلفاء الراشدين في اليوم الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل أن يُدفن جسده الشريف، في ممارسة شورية رائعة.

وأكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الغضب والثورة التي انتهت بقتل الخليفة، واستمر النزاع المسلح في خلافة علي بن أبي طالب فأثمر ثمرته المرة في الحروب بين المسلمين.

مواكبة التوسع الكبير للدولة:

منذ أن بدأت حركة الفتوحات تؤتي ثمارها جدت احتياجات؛ واجتهد الراشدون في مواكبتها، منها نهج التفويض الإداري الذي اتبعه أبو بكر في إدارة الجيوش الفاتحة، كما فعل مع خالد بن الوليد، فأطلق طاقات الفاتح العظيم، ولما استخلف عمر كانت سياسته تتجه

إلى الضبط المركزي إزاء فتوحات استقرت، ودولة ترامت أطرافها، وقادة كبار لاح خطر الافتتان بهم. ولم تحل هذه السياسة دون إدراك الخليفة حتمية تغير منهج إدارة البلاد المفتوحة وإن خالفه، كما يتضح في إنكاره على معاوية أمير الشام، إذ كان يغدو في موكب، ويروح في مثله، ويقف ذوو الحاجات ببابه؛ فاحتج معاوية بكثرة عيون العدو، ووجوب إشعارهم بهيبة الحكم، فتركه وما يراه، كما احتفظ عمر بكبار الصحابة إلى جواره ليفيد من آرائهم، وولى إمارات البلاد من هو أقل في أعين الناس، وأطوع له في الإدارة.

وأدرك عمر أهمية بناء أمصار جديدة تبعاً لحاجات الدولة المتنامية، فأمر ببناء البصرة والكوفة والفسطاط، أما الأوليان فللحاجة إلى وجود معسكرات مستقرة للجيوش؛ قريبة من ساحات الجهاد، وأما الفسطاط فجعلها عاصمة جديدة لمصر؛ درءاً لخطر الإقامة في الإسكندرية لموقعها البحري المعرض للغزو.

النبي صلى الله عليه وسلم بعده ستة أشهر، ثم بايعوا، وقد استوعب الوعي السياسي في ذلك الوقت هذا الخلاف، ولم ير فيه ضرراً، إذ تكفي مبايعة الجمهور أبا بكر،

أجورهم، كما حدث في مطلع خلافة أبي بكر، وعمر، ولما حضرت أبا بكر الوفاة أمر برد جميع ما أخذه من أجر لبيت المال، ومما يدل على مفصلية هذا الأمر في النظر إلى

سمات عصر الراشدين أن عمر سأل يوماً سلمان الفارسي: أملك أنا أم خليفة؟ فأجابته: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه، فأنت ملك غير خليفة.

وطاعة الخليفة واجبة، في غير معصية، وكان ذلك نهج الراشدين في الحكم، فقال أبو بكر: «أطيعوني ما أطيعت الله ورسوله،

فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم»، وقال عمر: «إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يُطاع في معصية الله»، وأقر الخلفاء بحق الرعية في نقدهم وتقويمهم، فقال أبو بكر في خطابه الأول: «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»، وروى البخاري في «التاريخ الكبير» أن عمر سأل أصحابه عما سيفعلون إن مال بهم عن الحق؟ فقال بشير بن سعد: لو فعلت قومناك تقويم القدح، ولما قال رجل لعمر: اتق الله! قال عمر: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم»، ولا حرج على الخليفة أن يعترف بخطئه إن استبان له، فقد كتب عثمان بن عفان إلى أهل الكوفة في أمر عتبوا عليه فيه: «إني لست بميزان لا يعول؛ أي لا يميل.

وتتجه أصح الروايات إلى أن سعداً بن عباد، مرشح الأنصار للخلافة يوم السقيفة، لم يبايع أبا بكر، ولا عمر من بعده، وتذكر روايات البخاري أن علياً بن أبي طالب وجماعة من بني عبد مناف قد امتنعوا عن بيعه الصديق بالخلافة حتى وفاة فاطمة بنت



«ولا يلزم الإجماع»، كما يقول ابن تيمية، وقد مزق عمر كتاب الخليفة أبي بكر الذي يعطي أرضاً لعبيبة بن حصن زعيم فزارة، إذ انتفت الحاجة إلى تأليف قلبه بعد أن قرّر قرار الإسلام، فقال عبيبة لأبي بكر شاكياً: أما أنت الأمير أم عمر؟ قال: «بل هو إن شاء الله».

وعارض عدد من الصحابة رأي عمر في إبقاء الأراضي المفتوحة وفقاً على المسلمين، وأرادوا قسمتها كما تقسم الغنائم المنقولة، واشتد الأمر على عمر حتى دعا الله أن يكفيه هؤلاء، وفي خلافة عثمان تجاوزت المعارضة دائرة النصح والضجر إلى دائرة

الشورى لم تكن عملاً سياسياً يستدعيه الناس حين يموت الخليفة بل كانت منهجاً للحكم

الخلفاء الراشدون أدركوا أن اختيار الأمة إياهم لا يضيي عليهم قداسة ولا عصمة

منذ أن بدأت الفتوحات تؤتي ثمارها جَدَّت احتياجات واجتهد الراشدون في مواكبتها

السمة الأشد ظهوراً كانت تطور مفهوم أهل الحل والعقد فلم يعودوا السابقين إلى الإسلام

كثير منهم إلى التأثيرين على عثمان فشكّلوا عنصراً شديداً للخطر لا عهد للدولة به، كما أصبحوا عماد القوى العاملة للمجتمع بسبب اكتفاء العرب بتشغيل مواليتهم في أسواقهم، وقد عبّر عمر عن مخاوفه لما رآهم معظم مَنْ في السوق، فقال لصاحبه: «إن ذلك لو استمر ليجتاجن رجالكم إلى رجالهم، ونساؤكم إلى نساؤهم»، ولما طعن بيد أحدهم، وهو أبو لؤلؤة، قال لابن عباس: كنت أنت وأبوك تحبون أن يكتر العلوّج بالمدينة!

لقد أدرك عمر خطر هذه المشكلة قبل وقوعها، إذ كان يشفق من اتساع الفتوح مع قصور قدرات المسلمين الصادقين عن استيعاب هذه الأثوف المتدافعة إلى رحم الدولة والمجتمع، ودعوتهم إلى الدين الحق، فكان يقول: «وددت لو أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار، لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم!» وكان ينصح العرب بعدما تضخمت ثرواتهم بأهمية الاستثمار تحسباً للمستقبل، وأن يعملوا بأنفسهم، ولا يستجيبوا لدواعي البطالة والدعة.

ومع تخوف عمر من زيادة أعداد غير المسلمين وتأثيرهم، فإنه ومن تبعه أقروا حقوقهم في الرعاية والعدل، فعمر هو الذي أعطى فقير أهل الذمة من بيت مال المسلمين، وعليّ بن أبي طالب هو الذي أمر عامله على مضر بالرفق والعدل مع الرعية من مسلمين وغيرهم، فإنهم «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق».



مفهوم أهل الحل والعقد، فلم يعودوا أهل «بدر» والسابقين إلى الإسلام، بل تراجعت أعداد هؤلاء وتأثيرهم، وبرزت زعامات القبائل والأمصار، صاحبة الدور الأكبر في الفتوح وتحقيق موارد الدولة، وكانت الثورة على عثمان واستشهاده في عاصمة الدولة على أيدي جماعات من هؤلاء إعلاناً للواقع الجديد، وبالرغم من ذلك بقيت محاولات الراشدين الاعتماد على السابقين الأولين، فلم يسلّم عثمان لإرادة التأثيرين عزله، لأنهم ليسوا أهل الحل والعقد، ولم يرض عليّ بمبايعتهم إياه من بعده، وقال: «إن هذا الأمر ليس لكم، إنما هو لأهل بدر»، لكنه اضطر إلى التسليم بحتمية التغيير، وانتقل بالخلافة من المدينة إلى الكوفة مبرراً ذلك بأن المال والرجال بالعراق.

وأدرك الراشدون أيضاً آثار ظهور جماعات ضخمة من الموالى والرقيق لا عاصم لهم ولا ناظم، إذ لا ينضوون تحت التنظيم القبلي للجماعة المسلمة، وقد انضم

مواجهة نتائج التحول إلى دولة عالمية؛

تحولت دولة الإسلام إلى دولة عالمية، مما أنتج تغيرات في موازين القوة والفعالية السياسية؛ إذ تقلصت أعداد السابقين إلى الإسلام، بالموت والانسياح مع الفتوح، وكانوا عماد الدولة، وحملة الرسالة الأصلاء، فسعى عمر إلى تقديمهم، والحفاظ على مكانتهم وتأثيرهم، من خلال تنظيم ديوان الجند، وإعطائهم أعظم الأنصبة المالية، غير أن ظهور الفعالية السياسية للقبائل العربية، وتزايد تأثير الأمصار الجديدة، كان يفرض واقعاً جديداً، فاشتد ضجر الأمصار من أمرائهم بالرغم من كثرة تبييرهم، فكانوا «لا يرضون عن أمير، ولا يرضى عنهم أمير»، كما أدرك عمر خطر تكوّن أرسقراطية قرشية تحظى بأعظم العطاء فتثير أحقاد القبائل، فأعلن أنه إن عاش إلى العام القادم سيسوّي بين الناس في العطاء، لكن وافاه أجله. وكانت السمة الأشد ظهوراً هي تطور

«الإسلاموفوبيا».. ظلم للإسلام والمسلمين!



د. يوسف السند

إمام وخطيب —وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالكويت

الحمد لله كثيراً، الأمم المتحدة تعتمد قبل أيام قراراً بمكافحة «الإسلاموفوبيا»^(١) (كراهية الإسلام)، فقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة، الجمعة ١٥ مارس ٢٠٢٤م، قراراً بعنوان «تدابير مكافحة كراهية الإسلام»، جاء ذلك خلال اجتماع بمناسبة اليوم الدولي لمكافحة كراهية الإسلام أو «الإسلاموفوبيا»، وصوتت ١١٥ دولة لصالح مشروع القرار الذي قدمته باكستان نيابة عن منظمة التعاون الإسلامي، فيما امتنعت ٤٤ دولة عن التصويت، ولم تصوت أي دولة ضد القرار^(٢).

ويدين القرار أي دعوة إلى الكراهية الدينية والتحريض على التمييز أو العداوة أو العنف ضد المسلمين، كما يبدو من تزايد حوادث تدنيس كتابهم المقدس والهجمات التي تستهدف المساجد والمواقع والأضرحة.

وتهيب الجمعية العامة في قرارها بالدول الأعضاء أن تتخذ التدابير اللازمة لمكافحة التعصب الديني والقوالب النمطية والسلبية والكراهية والتحريض على العنف وممارسته ضد

المسلمين، وأن تحظر بموجب القانون التحريض على العنف وممارسته على أساس الدين أو المعتقد.

وقد صرح الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش: «في جميع أنحاء العالم، نرى موجة متصاعدة من الكراهية والتعصب ضد المسلمين، يمكن أن يأتي ذلك بأشكال عديدة.. التمييز الهيكلي والنظامي.. الاستبعاد الاجتماعي والاقتصادي.. سياسات الهجرة غير المتكافئة.. المراقبة والتنميط غير المبرر.. القيود المفروضة على الحصول على المواطنة والتعليم والتوظيف والعدالة». ونبه الأمين العام إلى أن هذه العوائق المؤسسية وغيرها تنتهك التزامنا المشترك بحقوق الإنسان والكرامة، كما أنها «تديم حلقة مفرغة من الاستبعاد والفقر والحرمان يتردد صداها عبر الأجيال، وفي الوقت نفسه، ينشر الخطاب المثير للانقسام والتضليل الصور النمطية، ووصم المجتمعات المحلية، وخلق بيئة من سوء الفهم والشك».

إنها العودة الحتمية إلى قيم الإسلام ومبادئه التي تحرم الظلم وتنادي بالعدالة والحرية والمساواة، وتدعو للتعاون والتآلف والتعارف بين الناس! ولعلنا نحن المسلمين أولى الناس بنشر السلام والحد من الكراهية بيننا وفي العالم، والتبليغ والإنكار على كل من ينشر الكراهية والعنف والتهديد الأمني ضد الآخرين بلا ذنب! ما أروعك يا رسول الله عليك الصلاة

والسلام عندما قلت: «لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذُكُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ؟»^(٣)

فذاك أبي وأمي يا رسول الله! دخلت المدينة المنورة وأعلنت السلام ونبتذ الكراهية في مجتمع تعددت مكوناته وتنوعت عرقياته؛ «أيها الناس، أفشوا السلام، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٤).

إنها العودة الحتمية إلى قيم الإسلام ومبادئه التي تحرم الظلم وتنادي بالعدالة والحرية والمساواة، وتدعو للتعاون والتآلف والتعارف بين بني البشر؛ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣).

والحمد لله رب العالمين. ■

الهوامش

(١) «الفوبيا» هي الخوف القهري اللاشعوري غير العقلاني وغير المبرر من موقف أو شخص أو ظاهرة، وعندما نضيف لها كلمة «الإسلام» يصبح مصطلح «الإسلاموفوبيا» الذي يعني الخوف المبالغ به وغير المبرر من الإسلام، طارق السويدان، «الإسلاموفوبيا» معناها وحقيقتها.

(٢) ١٥ مارس ٢٠٢٤م، شؤون الأمم المتحدة.

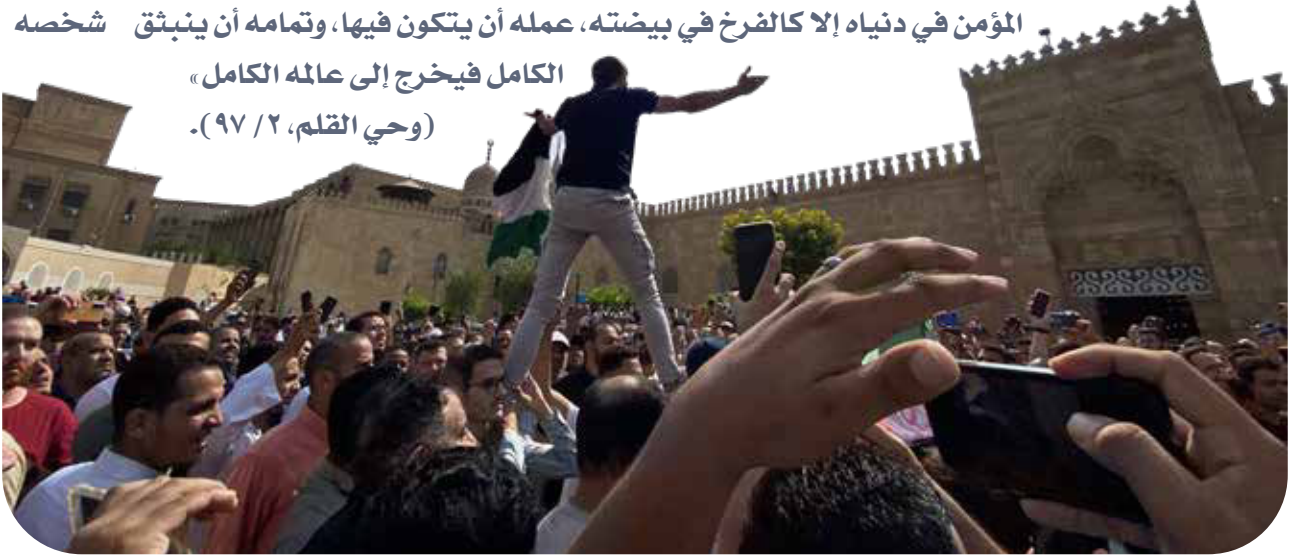
(٣) صحيح مسلم.

(٤) صحيح.

غزة تُحيي الأمة من جديد

يشبه الأديب مصطفى صادق الرافعي المحنة بالبيضة قائلاً: «تُحسب سجنًا لما فيها وهي تحوطه وتربيته وتعيّنه على تمامه، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تنقف البيضة فيخرج خلقاً آخر، وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته، عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل»

(وحي القلم، ٩٧/٢).



وصالات الألعاب الرياضية والمنازل يتابعون بيانات أبي عبيدة، المتحدث باسم «كتائب القسم» كأنهم يتابعون رئيس دولتهم وقت الحرب.

بقطة الوعي

غزة قد أحدثت طفرة في وعي الأمة، وخلال شهر منذ اندلاع الحرب تكونت لدى الجماهير ثقافة سياسية وقدرات تحليلية للأحداث، وربطها ببعضها، وصارت على دراية بالموقف الغربي من بلاد الإسلام، وبرزت على السطح قضايا كان بحثها يدور في فلك المختصين والنخب الثقافية والسياسية، كأقدمية السكنى للعرب قبل مجيء اليهود إليها وحق العرب التاريخي في فلسطين، وحق المسلمين فيها باعتبار أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذي تسلم الريادة في القدس في رحلة الإسراء والمعراج.

وعززت هذه الأحداث من اهتمام الناس بتفسير آيات سورة «الإسراء»، عن الإفساد

بما لديهم فرحين، لا يكثرثون لشيء سوى ما يحدث في نطاق حدودهم الجغرافية.

هذه الحرب أمسكت بتلابيب أبناء الأمة في المشرق والمغرب، وأخذت بحجزهم إلى تأييد وتعاطف غير مسبوقين مع القضية الفلسطينية، لا فرق في ذلك بين عربي وأعجمي، فكانت المظاهرات المؤيدة والفعاليات المثمرة في نصررة القضية في باكستان، وتركيا، واندونيسيا، وغيرها من البلدان الإسلامية غير العربية، حتى الهند التي يئن مسلموها تحت وطأة الاستبداد الهندوسي، لم يتوان أهلها في نصررة القضية رغم خطورة وضعهم هناك.

في المساجد يقنت المسلمون في الصلوات بالدعاء لغزة والنصر على الأعداء، في خطب الجمعة عاد الحديث، بعد غياب، عن الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، وضرورة نصررة الأشقاء في غزة، غدت الجماهير تتابع أخبار «طوفان الأقصى» بحماس كسابق حرصهم على متابعة مباريات الكرة، الناس على المقاهي

إحسان الفقيه

كتابة صحفية

من محنة غزة، ولدت المنحة، ولا نتحدث عن كونها منحة في حق الفلسطينيين، فعالهم أعظم وأجل من أن تحيط به الأقلام، هؤلاء يراوون بين إحدى الحسينين نصر أو شهادة، هؤلاء قد سطوروا ملاحم يفغر لها فاه الزمان، وجيل هذه المحنة سيكتب الله على يديه النصر إن شاء الله تعالى.

لكننا نتحدث هنا عن المنحة التي أهديت للأمة من خلال محنة غزة، وأهلها الذين ضحوا دماءهم في عروق أمتنا لتدب فيها الحياة من جديد، كحال غلام الأخدود، دفع حياته ثمناً لنهوض قومه من سباتهم.

لقد أحييت غزة الشعور بأمة الجسد الواحد من جديد، وهو الشعور الذي خفت بريقه مع تعدد الرايات والانتماءات، وسيطرته على وجدان الشعوب، حتى غدا كل أهل قطر

انتقال الجماهير من التعاطف الوجداني إلى التحرك الفعلي بتفعيل سلاح المقاطعة

هذا الحديث على أحداث غزة، والاستبشار بأن رجالها هم المعنيون، وبالجمل، فقد صار هناك تفاعل كبير من الناس مع هذه النبوءات والبشارات، وهو أمر كما أسلفنا من صميم الاعتقاد.

من أبرز آثار تحت المحنة، انتقال الجماهير من حيز التعاطف الوجداني إلى التحرك الفعلي على الأرض، لا أدل على ذلك من تفعيل سلاح المقاطعة لمنتجات الصهاينة وداعميهم على نحو غير مسبوق، وأصبح سلوكاً شائعاً تلقائياً أن يتجنب الناس شراء هذه المنتجات، وفي بعض الدول، وبسبب هذه المقاطعة، أُحييت منتجات محلية كانت قد اندثرت، وأصبح التجار لا يلاحقون سعي الجماهير لشراؤها، بينما خفضت شركات المنتجات التي تمت مقاطعتها أسعار بضائعها بما وصل إلى ٧٥%.

أما على مواقع التواصل، فالملاحظ أن مؤيدي القضية يخوضون في استبسال معركة وعي، بنقل وتداول المقاطع المصورة من قلب الحدث، والترويج لآثار المجازر الوحشية التي يرتكبها العدو في غزة، لتصل إلى شعوب العالم، والترويج لدلائل انتصارات المقاومة لرفع الروح المعنوية للأمة، والرد على الشبهات المثارة حول المقاومة، بل وصل التفاعل إلى ابتكار البعض وسائل بدائية لتقنية مياه الصرف لتصلح للشرب والتواصي بنشرها لتصل إلى أهل غزة، بينما ينشر البعض الآخر طريقة التعامل مع قتال الفوسفور الأبيض، وغيرها من الحلول العملية.

الحديث عن تلك المنحة التي أهدتها محنة غزة للأمة أطول مما يتسع له المقام، لكن غزة قد وضعت الأقدام على الطريق، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده. ■

استعادة مركزية القضية في نفوس الأمة بعد فشل التطبيع وانكشاف أبعاد الصراع

ال فلسطينية في نفوس الجماهير، بعد فشل التطبيع، وانكشاف أبعاد الصراع: صراع عقدي يصطف فيه الغرب الصليبي إلى جانب العدو «الإسرائيلي» الجائر.

من آثار المحنة على جماهير الأمة، ذلك البعث العقدي المتمثل في ارتباط الناس بنبوءات آخر الزمان، وهي من صميم الاعتقاد، إذ إنها تندرج تحت الإيمان بالغيب الذي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على بعضه، فصار الناس يبحثون ويتساءلون ويتداولون أحاديث المعركة الفاصلة مع بني إسرائيل التي ينطق فيها الحجر والشجر دالاً على اليهود، والأحاديث التي تنبئ بأن الدجال يتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان، وعن الملحمة الكبرى المذكورة في الأحاديث.

وأرى أن الأمة لم يسبق لها منذ عقود الاهتمام على هذا النحو بحديث الطائفة المنصورة: «لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَاهْرَبِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يُصْرُهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» (صحيح مسلم، ٣ / ١٥٢٤)، وعرض

غزة أحييت الشعور بأمة الجسد الواحد الذي خفت مع تعدد الرايات والانتماءات

والعلو لبني إسرائيل: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» ١٠ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ١١ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ١٢ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِّرًا» (الإسراء).

وراج بشدة على مواقع التواصل حديث الشيخ الشعراوي، رحمه الله، في ظلال هذه الآيات، والتبشير بأننا بانتظار المرحلة الأخيرة التي يسوء فيها المؤمنون وجوه بني إسرائيل ودخول «الأقصى»، وتدمير العلو «الإسرائيلي»، شرط استحقاق أن نكون عباداً لله بحق.

أسهمت أحداث غزة في لحظة الوعي بذلك التمايز غير المسبوق للصفوف، فكانها فرقان، فرق الله به بين المنتمين لهذه الأمة وناصريها، وأعدائها وثلة النفاق التي اشرأبت أعناقها؛ وهذا يؤكد استعادة مركزية القضية



نصرة غزة.. بين الولاء للإسلام والولاء للأوطان



التي تجمع المسلمين من شروطها ومدلولها الحب والولاء الذي فيه معاني المحبة والنصرة، والتناصر والإغاثة، والمساعدة والتأييد، والتحالف والتناصر، والقرب والاتفاق، والاتباع والمتابعة، والانتماء لأهل «لا إله إلا الله»، فمن شروط «لا إله إلا الله» مع العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص، وكذا المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (المائدة: ٥٤).

بعضهم أولياء بعض:

قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٧١): جاء في تفسير «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ»:

- القرطبي: قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف.
- ابن كثير: يتناصرون ويتعاضدون.
- البغوي: في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة.
- السعدي: في المحبة والمواولة، والانتماء.

تعالى فيهم: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» (الأنفال: ٧٢): «هذا عقد موالاة ومحبة، عقدها الله بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، والأنصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأعانوهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكمال إيمانهم وتماثل اتصال بعضهم ببعض» (تفسير السعدي).

كلمة التوحيد أساس الولاء:

إن الولاء في الإسلام للدين قبل الوطن، والهوية الإسلامية أعلى وأوثق من الانتماء إلى الوطن، ويكون التناصر والتعاطف على هذا الأساس: لأن من لوازم الإيمان أن يحب المؤمن المؤمنين وينتمي إليهم وإن نأت عنه ديارهم، ويتضامن معهم كالجسد الواحد، يقول الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (المائدة)، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (رواه مسلم).

والدليل الأساس هو أن كلمة التوحيد



د. أحمد عيسى

دكتورة في العقيدة وأصول الدين

الإسلام يعزز مكانة الوطن، ويدعو لإعمارهم وازدهارهم والدفاع عنه، ويكاد ولاء بعض المسلمين وحكامهم لأوطانهم يعلو على ولائهم للدين، بل فاق عند أدياء القومية والوطنية. ويرى البعض أن مصلحة القطر الوطني فوق مصلحة أهل غزة المسلمين فيتركهم بلا مناصرة وهم في أشد الحاجة إليها، فكيف ينظر الإسلام للولاء للدين والولاء للوطن؟

عقد موالاة ومحبة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (رواه الترمذي، صحيح)، فلم يمنع النبي حب وطنه أن يهاجر منه، ليحقق مصلحة الدين، وهكذا ترك المهاجرون ديارهم، واستقبلهم الأنصار، وقال الله

الولاء في الإسلام للدين قبل الوطن ويكون التناصر والتعاطف على هذا الأساس

أعلى رابطة تجمع أهل الإسلام
ليست الدم والنسب وإنما
رابطة الدين والعقيدة

غزة تستغيث فهل من مناصر
مُلبّ لأهل الإسلام هناك بالإغاثة
والمعونة والنجدة؟



إلى عمورية وفتحها عنوة.

النصرة أنواع:

- بالدعاء: بصدق وإلحاح.
- النصرة الفقهية: ببيان الفقهاء للحكم الشرعي والتوعية بمفهوم نصرة الحق، وكيفية رفع الظلم.
- النصرة الإغاثية والطبية والمالية: بتوفير ما يحتاج إليه المنكوبون من ضرورات الحياة.
- النصرة العسكرية: وتجب على الدول.
- النصرة الإعلامية: للإخبار بالظلم الواقع وتعرية جرائم المعتدين؛ بالوقف والمسير، بالصوت والصورة، وبالقلم والريشة، وبالنشر والشعر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَاقَحَتْ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ رَسُولِهِ» (صحيح ابن حبان).

والآن.. غزة تستغيث، يا غوثاه! فهل من مناصر مُلبّ موالٍ لأهل الإسلام هناك بالإغاثة والمعونة والتقوية والنجدة؟ ■

عقد المواطنة لا يشتمل على خروج من الدين، أو انصراف عن الشعائر، أو حجر على حرية المسلم أن يعيش إيمانه^(١).

نصرة من التاريخ:

في «عام الرمادة» أصاب الناس في الجزيرة العربية مجاعة شديدة، فأسرع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب إلى عمّاله على البلاد الغنيّة في الشام والعراق يستغيثهم، وأرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه عامله بمصر: «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، سلام عليك، أما بعد، أفتراني هالكاً ومَن قبلي وتعيش أنت ومَن قبلك؟ فيا غوثاه! (ثلاثاً)، فكتب إليه عمرو بن العاص: لعبد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، أتاك الغوث.. لأبعث إليك بغير أولها عندك وآخرها عندي»^(٢).

لقد سطر لنا التاريخ غيرة ونخوة أجدادنا لنجدة المستضعفين المستغيثين، فأغاثوا الملهوف، ونصروا المظلوم، ابتداء من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم للمرأة الأنصارية المسلمة التي تحرش بها اليهود في سوق بني قينقاع، فعمد صائغ إلى طرف ثوبها فعمقه إلى ظهرها فلما قامت انكشف جسدها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، فشددت اليهود على المسلم فقتلوه، فأجلاهم المسلمون عن المدينة بعد الحصار والتسليم^(٣).

مروراً برفع ظلم الروم وفارس عن أهل البلاد التي فتحها الأسلاف، إلى إغاثة المعتصم لامرأة عمورية التي صفعها رومي وسجلها إلى السجن فصرخت: وامعتصماه! فسار المعتصم من بغداد

- الطبري: بعضهم أنصاراً بعض وأعوأهم. وقال صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ» (صحيح النسائي)، وقال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد.. ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهي له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام» (السلسلة الصحيحة).

إن أعلى رابطة تجمع أهل الإسلام في كل زمان ومكان، ليست رابطة الدم والنسب، وليست رابطة الأرض والوطن، وليست رابطة القبيلة والعشيرة، وليست رابطة اللون واللغة والأصل والعنصر، وإنما رابطة الدين والعقيدة؛ رابطة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (الحجرات: ١٠): «في الدين والحرمة لا في النسب، وأخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فأخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب» (تفسير القرطبي).

وكذلك المسلمون في بلاد الغرب فيجب أن يكون ولاؤهم للدين مقدماً على المواطنة؛ يمكن اعتبار الولاء دوائر ومراتب، وبإمكانها أن تتواصل وتتفاعل بدلاً من أن تتصادم، فالولاء للدين أمر مسلّم به عند كل مسلم، وهو أعلى قمة هرم الولاءات، وهو لا يطرد الولاء للوطن بمفهوم المواطنة؛ إذ هو لا يتنافى مع الولاء للدين ما دام

الهوامش

(١) عبدالله بن بيه، «الولاء بين الدين والمواطنة»، المجلة العلمية للمجلس الأوربي للإفتاء، العدد (١٢) (٢٠٠٨)، ص ١٠٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ج ٣، ص ٢٣٦.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٨.

وزير الأوقاف المصري السابق العالم الأزهري د. طلعت عفيفي لـ «المجتمع»:

المساس بثواب الدين تبديد.. والتجديد في وسائل الخطاب وآلياته



فتح وزير الأوقاف المصرية السابق، عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر الأسبق، فضيلة أ.د. طلعت عفيفي قلبه لـ «المجتمع»، في حوار رمضاني خاص، وأول حديث إعلامي له منذ سنوات.

تحدث العالم الأزهري الجليل عن كيفية استقبال شهر رمضان المعظم، وتأثيرات نفحاته على واقع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبخاصة مع استمرار معركة «طوفان الأقصى»، وقضايا الدعوة الإسلامية و«الإسلاموفوبيا».

» حوار - حسن القباني

• في البداية، كيف ينبغي أن ينظر المسلمون إلى شهر رمضان؟

- رمضان شهر له خصوصية، فهو ليس كبقية شهور العام، كما أنه فرصة، فهو كما ذكر الله عز وجل: (أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة: ١٨٤)، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر شهر رمضان رمانة الميزان بالنسبة لباقي الشهور، إذا صح التعبير، فكان يستعد قبل مجيئه جيداً، وسلفنا الصالح كانوا يستعدون له كذلك، ويدعون الله تعالى أن يبلغهم رمضان.

علينا ألا يمر هذا الشهر كغيره، وندعو الله أن يرزقنا السداد فيه، فهو شهر مفصلي وله قيمة ووزن، ويعتبر منحة ونعمة من الله عز وجل، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النيران، وتصفد مردة الشياطين، وتتضاعف الحسنات، وتعم الخيرات ربوع الأمة بشكل واضح؛ قياماً

وصياماً ودعاء وصلوة وتواصلاً بين الناس.

• كيف ترون واقع الأمة الإسلامية حالياً، وتأثير رمضان عليه؟

- وضع الأمة الإسلامية على غير ما نحب، فهي ترزح في ابتلاءات وأزمات، وأعداء الأمة ينزلون بالمسلمين البلاء، وعلينا أن نستغل شهر رمضان في أن نتضرع إلى الله عز وجل أكثر أن يرفع عنا ذلك البلاء، وأن نتقرب إلى الله أكثر كي نحقق في أنفسنا ما طلب الله منا حتى يتنزل علينا النصر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصُورُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد ٧)، وقوله عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ

إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

• يأتي رمضان، ومساجد غزة هدمت، والمسجد الأقصى تحت قيود تعسفية، ما تعليقكم؟

- لا نتوقع من أعدائنا خيراً، وعلينا ألا نلن، وأن نرفض أي مساس بمقدساتنا، وعلى إخواننا الفلسطينيين أن يجتهدوا في مواصلة برنامجهم الرمضاني، في المسجد الأقصى، مهما كانت التضحيات، فهذا نضال وجهاد في سبيل الله حتى نصل إلى تحرير مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، ويقيني أن موعد تحرره قد اقترب بإذن الله.

اليهود يريدونها حرباً دينية، والذي لا

رمضان موسم وفرصة ونعمة ورمانة الميزان لباقي الشهور

أيام الصيام قد تساعد على إصلاح ذات البين ووقف التنازع

الخطاب الدعوي ينبغي أن يهتم بالواقع بلا صدام ولا انعزال

كالأمم المتحدة.

• توليتهم سابقاً عمادة كلية الدعوة في جامعة الأزهر، بحكم خبراتهم، ماذا يحتاج الخطاب الدعوي الآن؟

- نحتاج إلى خطاب دعوي يتناغم مع
المعطيات المعاصرة، بحيث لا يكون منعزلاً
ولا يكون صدامياً، يذكر الحق دون أن
يجامل أحداً، وعلى الداعية أن يناصر
الحق وألا يذوب مع التيارات يميناً ويساراً،
وأن يستخدم كل الطرق الإيجابية ليصل
إلى الناس، سواء القديمة التقليدية أو
الجديدة، وأن يخاطب الناس بوسائل عدة،
فالدعوة لا تتوقف عند الخطبة أو درس
المسجد، فالوسائل متعددة، والكلمة قد
تصل إلى أنحاء العالم لا محيط الداعية؛
ما يتطلب تأهيله لاستخدام ما استجد من
وسائل ليكون صوته مؤثراً.

وما يقال عن تجديد الخطاب الديني
يجب أن يقتصر على وسائل الدعوة
وأساليبها، ولا يمكن أن يكون في الإسلام،
فحينها سيكون تبيداً للأصول والقواعد
والثوابت.

• في رمضان، كانت لكم جولات دعوية بين الجاليات في أمريكا؟

- زيارتي لأمريكا كانت تتم عادة
في شهر رمضان، وكنت ألحظ عمار
المساجد هناك وإقبال المجتمع الأمريكي
المسلم على الطاعات والعبادات، والحنين
الجارف للمسجد والكثافة العددية، وكنت

يرى ذلك فهو لا يفقه حقيقة الأمر، وقد
قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ
حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾
(البقرة: ٢١٧)، والمسجد هو رمز للدين،
ومعنى هدم المساجد في غزة أو المساس
بها هو استهداف للإسلام، ورغبة في
عدم وجوده، ولكن الأرض جعلت للمسلمين
مسجداً وطهوراً، وستعود المساجد لما كانت
عليه وأفضل.

ولعل رمضان هذا العام يكون شهر
الانتصارات والفتوح على أرض فلسطين،
كما حدث في غزوة «بدر» و«فتح مكة»،
ومعركة «عين جالوت»، وفتح عمورية، وفتح
بلاد الأندلس، وحرب أكتوبر ١٩٧٣م.

• في ظل الخلافات والنزاعات بين أبناء الأمة، هل يمكن أن يشكل رمضان فرصة لمعالجتها؟

- لا شك أن المسلم مطالب بينه
وبين المسلمين في أي وقت وزمان ومكان،
بإصلاح ذات البين، مصداقاً لقوله تعالى:
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا
اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١)،
فاتحاد المسلمين وتضامنهم مع بعضهم
بعضاً يعزز قوتهم، أما الفرقة والنزاع
والتناحر والقتال فيخصم من قوتنا.

ولهذا، فإن رمضان فرصة لإصلاح
تلك الأوضاع في ظل وضوح أعداء الأمة
من يهود ومن خلفهم، أمام الجميع، وكذا
مخططاتهم التي لا تريد خيراً للمسلمين،
وانكشاف الوجه الحقيقي للحكومات
الغربية ومدى عجز المؤسسات الدولية

متعلقاً بالمساجد، لا غير، والدعوة إلى الله
سبحانه وتعالى، ومساعدة المسلمين على
صيانة دينهم في هذه البيئة.

وحالياً، أنا أتابع دعم الشعب الأمريكي،
والغربي، والحر عامة، للقضية الفلسطينية
بعدما كشفت لهم الأيام الأخيرة حقيقة
اليهود.

• كيف ترون «الإسلاموفوبيا» وتأثيرها على الأقليات المسلمة في الخارج؟

- هذه شعارات يريد بها أعداء
الإسلام إخافة غير المسلمين من الدين
الإسلامي، عبر الإشاعات والأكاذيب،
ولكن الناس إذا وجدوا من يرشدتهم إلى
الدين بطريقة صحيحة، أو يعاملوا مسلمين
على خلق حسن؛ لن يمنهم أي أحد من
دخول الإسلام أو أي وسيلة سلبية أو حملة
مضادة.

• ولكن البعض يقول: إن الإساءة تأتي من داخل المسلمين مثل تجربة «داعش»، هل تتفقون مع ذلك؟

- مثل هذه المنظمة وغيرها ممن قتلوا
وأشاعوا الرعب والفرع باسم الإسلام،
أسأؤوا للإسلام أبلغ إساءة، وفي رأيي أن
هذه المنظمات صنيعة استعمارية، وفي
المقابل، لعل الصورة التي ظهرت لـ«حماس»
والمقاومين مع الأسرى اليهود كانت
تصحيحاً لصورة المجاهدين المغلوطة لدى
الغرب، وحملت رسالة غير مباشرة ودعوية
ودعائية إيجابية للدين الإسلامي.

ومن الواجب على كل مسلم يقيم وسط
الغرب أن يكون قدوة حسنة.

الكرة الآن في ملعب المسلمين، كما
يقولون، ويني أن المستقبل للإسلام،
والناس ستكتشف مع مرور الوقت أن
الإسلام دين سابق في كل المجالات وهو
الكلمة الحق. ■

تحرير المسجد الأقصى قد اقترب وحمائته جهاد في سبيل الله

اليهود يريدونها حرباً دينية وهدم المساجد بغزة استهداف للإسلام



خدعة استحالة قيام الاقتصاد العالمي على غير الربا (5)

لا تستطيع أبداً أن تبلغ حجم القروض الممنوحة، والمبالغ الضرورية لتسديد الفوائد المترتبة على القروض لا يتم خلقها بكل بساطة لأنها بالأساس غير موجودة! ففي إطار هذه المنظومة التي يفوق فيها حجم القروض الجديدة بصورة دائمة كمية الموارد الممنوحة، لا توجد أي أهمية فيما إذا كنت تحصل على قروض كثيرة أو قليلة، ولا أن يكون نمو الدين العام يسبق كمية الموارد المتاحة أو المتوافرة لإعادتها، ولن يستطيع الناس أبداً الخروج من الدين.

حالة مديونية مزمنة

كما يكشف عالم الاقتصاد البريطاني «م. راوبوتام»، في كتابه «قبضة الموت أو القبضة القاتلة.. دراسة للأموال المعاصرة ولعبودية الدين وللأقتصاد المدمر» الذي صدر أواخر عقد التسعينيات من القرن العشرين، كذلك هذه الحلقة الخبيثة للدين بقوله: لا يدعو للدهشة ولا بأي شكل من الأشكال كون الأمم تعيش حالة مديونية مزمنة، وأن الحكومات لا تملك موارد كافية، وأن الخدمات الاجتماعية

الخبيثة بقوله: إن الطريقة الوحيدة التي تطرح بواسطتها الأموال الجديدة -أي الديون الائتمانية- للتداول في أمريكا هي حين يتم الحصول عليها لدى المصرفيين كقروض، وعندما تحصل الولايات المتحدة والسكان على مبالغ ضخمة بصفة دين، فإنه ينشأ انطباع كما لو أن البلاد تزدهر، لكن أصحاب البنوك يخلقون كمية النقود الموافقة للمبلغ الأساسي من كل قرض فقط، ولكن ليس تلك الكمية الإضافية من النقود اللازمة لدفع الفوائد؛ ولذلك، فإن الأموال الجديدة

المرابون لا همّ لهم إلا إفساد الأخلاق وإضعاف عزيمة الشعوب وكسر إرادتها وخلق الإحساس بالعجز لديها

دراسة لـ«ستيكورب» قدّرت زيادة حجم النقود في الاقتصاد المالي عن الاقتصاد الحقيقي من ٣٠ إلى ٥٠ مرة!



د. أشرف دوابسه

أستاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

إن المرابين لا همّ لهم إلا إفساد الأخلاق وإضعاف عزيمة الشعوب وكسر إرادتهم، وخلق الإحساس بالعجز لديهم، والاستسلام للربا، وقتل أي قدرة على المقاومة، وقد وصف المستشار الألماني الأسبق «برانت» حقيقة الربا بقوله: «إن ما يجري هو عملية نقل دم عكسية من المريض إلى الطبيب»، كما ذكر الاقتصادي «آرثر كينستون» أنه «ما من قيمة عظيمة أو معلم دين لم يذم الربا»، وقال إنه «ضد الربا بجميع أشكاله».

وهذا الأمريكي «إيمري شيلدون»، صاحب كتاب «المليارات لأصحاب البنوك والديون للفقراء»، يبرز حلقة الديون الربوية

المديونية في حال احتساب الفائدة المركبة تتضاعف وفق متوالية هندسية مثلما تتكاثر الخلايا السرطانية

ولآخرين غير معروفين على نطاق واسع
ولثالثين غير معروفين البتة من بلدان
الرأسمالية المنتصرة، وجميعهم يؤكدون
حقيقة أصبحت بديهية منذ زمن بعيد:
نسبة الفائدة المصرفية (الربوية) عبارة
عن فيروس يسبب داء مزمنًا وغير قابل
للعلاج في الاقتصاد الرأسمالي، وهذا
الداء أدى للتضخم والبطالة والاستخدام
الجشع وغير المسؤول للموارد الطبيعية،
وتصنيف المجتمع على أساس طبقي، وانتشار
المخدرات، وتلوث البيئة، والتحول التدريجي
للمنتجات الاستهلاكية من منشأ طبيعي
إلى منتجات الصناعة الكيماوية، وفي زيادة
نسبة الأمراض العقلية وحالات الانتحار،
والثورة الجنسية، وتخريب الأسس الأخلاقية
والثقافة التقليدية، بالإضافة لانتشار مذهب
عبادة الشيطان، عدا عن الحروب والإرهاب

لا تتلقى التمويل اللازم، وأن الناس يثقل
كاهلهم السحب على المكشوف.

والسبب في هذا النقص في السيولة وفي
العجز عن السداد يكمن في أن النظم المالية
في جميع البلدان تقوم فعلياً على أساس
الدَّيْن، وأن خلق الأموال الحديثة والدين
يسيران جنباً إلى جنب بعض، حيث إن عملية
صناعة النقود وعرضها تم تسليمها بالكامل
تقريباً للبنوك والمؤسسات المانحة الأخرى.

غالبية الناس يعتقدون أنهم حين
يقترضون من البنك إنما هم يقترضون
أموال أناس آخرين، وأن الأموال الممنوحة
من قبل البنك كقرض لا تعتبر ديناً لأموال
موجودة سابقاً، بل إن هذه الأموال التي تمت
استدانتها من البنك عبارة عن أموال إضافية
تم خلقها.

إن تدفقات المال التي يولدها المواطنون
ورجال الأعمال والحكومات التي تستدين
باستمرار من البنوك وغيرها من المؤسسات
الائتمانية تلبى متطلبات الاقتصاد بأكمله،
وبهذا الشكل يصبح عرض الأموال مرتبطاً
بالناس الذين يقترضون، وأن مستوى
المديونية داخل الاقتصاد عبارة
عن مؤشر لحجم المال الذي سبق
وتمت صناعته.

والمواطنون المعاصرون
الذين لم يودوا الشعور بالأثر
التدميري للدين المتزايد تماماً
مثلما أن الناس لا يستطيعون أن
يشعروا بالتأثير القاتل للأشعة،
والمنظومة النقدية الحالية القائمة
على الدين هي الأسوأ بالنسبة
للمجتمع من بين جميع مشاريع
النظم النقدية.

الفائدة الربوية فيروس!

ويمكنني أن أورد اقتباسات
لا حصر لها لمؤلفين مشهورين

وغير ذلك... إلخ.

إن السرطان في جسد المجتمع مرده
فيروس الربا، وللعلم، تنشأ في مجال
العلاقات الائتمانية ما تعرف بالفائدة المركبة
-فوائد على الفوائد المتأخرة السداد- ولذا،
فإن المديونية في حال احتساب الفائدة
المركبة تتضاعف وفق متوالية هندسية تماماً
مثلما تتكاثر الخلايا السرطانية؛ لذلك كثيراً
ما يطلق على نسبة الفائدة المصرفية اسم
«خلايا سرطانية» في الاقتصاد وليس اسم
«فيروس» فقط.

لقد فاقت المعاملات النقدية (النقود
مقابل النقود) ممثلاً في نقود المضاربة أو
الأموال الساخنة كل تصور، نتيجة لقيام
النظام العالمي على سعر الفائدة، حيث يوجد
انفصام تام بين الاقتصاد المالي الذي تباع
وتشتري فيه المنتجات المالية بغرض وحيد هو
الربح المالي، والاقتصاد الحقيقي الذي يتم
فيه صنع المنتجات وتبادل السلع والخدمات،
وقد قدرت دراسة لشركة «ستيكروب»
زيادة حجم النقود في الاقتصاد المالي عن
الاقتصاد الحقيقي من ٣٠ إلى ٥٠ مرة.

ورغم هذه الخلية السرطانية

الدمرة لربما ما زال البعض يردد
أنه استحالة قيام النظام النقدي
العالمي بدون الربا، وهذا ادعاء
واهن وخدعة وأكذوبة تعبر عن
الانبطاح الفكري بالتمسك بداء لا
دواء، بمرض لا علاج، نشأ وترعرع
في بنوك تقليدية غربية لا تحمل
ثقافتنا ولا منهجنا الإسلامي
ولا أخلاقنا، حتى إن أهل الفكر
الاقتصادي من الغربيين أنفسهم
اختلفوا في نظريات سعر الفائدة
بصورة تعكس تهافت أقوال بني
جلدتنا وممن يتسمون بأسمائنا. ■



أثر تزكية النفوس في صناعة القدوات



د. علي محمد الصلابي
داعية متخصص في التاريخ الإسلامي

أحاطت بجميع العناصر التي تتعلق بها عملية التزكية لدى الإنسان؛ وهي العقل والروح والجسد، وذلك بما يتفق مع منهج القرآن الكريم في خطابه للإنسان، ويمكن تحديد جوانب تلك التزكية وأساليبها في آيات القرآن الكريم بوضوح، فالتزكية العقلية في المنهج القرآني قامت على عدة نقاط وأساليب، وأهمها:

- تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، أو التبعية والتقليد، وإلزام العقل بالتحرري والتثبت.
- دعوة العقل إلى التدبر والتأمل في نواميس الكون، وإلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات، ومعاملات، وأخلاق، وآداب، وأسلوب حياة كامل، في السلم والحرب، في الإقامة والسفر؛ لأن ذلك يُنضج العقل، وينميّه، وبتعرفه على تلك الحكم يعطيه أحسن الفرص، ليطبق الشرع الرباني في حياته، لما فيه من السكينة، والطمأنينة، والسعادة للبشرية.
- دعوة العقل إلى النظر إلى سنة

التزكية والتنبية إلى خطورة إهمالها. والتزكية من الغايات الأساسية التي بعث لأجلها سيد الخلق وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وورد ذلك باللفظ الصريح في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢)، والحقيقة أن أي قارئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يلحظ أنها باختصار أعظم رحلة دعوية شهدها التاريخ البشري في تزكية النفوس وتطهيرها من نوازع الكفر والشرك والنفاق، ومن آفات المعاصي والشهوات ومفاسد الأخلاق.

وقد اتسم المنهج النبوي العظيم في تزكية النفوس بالتوازن والشمولية التي

التزكية من الغايات الأساسية التي بعث لأجلها خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم

إن تزكية النفوس وتطهيرها مقصد عظيم من مقاصد الإسلام، فهي منتهى غاية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك بغرس العقيدة الصحيحة والقيم السامية والأخلاق الفاضلة في نفوس المؤمنين، وهو ما ينسجم مع مقتضيات العقل السليم ونوازع القلب السليم، ويقود صاحبه للفلاح في الدنيا والآخرة.

وليس أدل على أهمية التزكية من القسم المطول الذي جاء في القرآن الكريم ليؤكد حقيقة فوز من زكى نفسه، وخسران من أضلها وأغواها في الدارين، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا ٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ١٠﴾ (الشمس)، فهذا القسم المفضل يحمل في طياته التشديد على أهمية

الله في الناس عبر التاريخ البشري؛ ليتعظ الناظر في تاريخ الآباء، والأجداد، والأسلاف، ويتأمل في سُنن الله في الأمم والشعوب والدول.

واهتم الإسلام بجانب التزكية الروحية التي اعتبرها الشرط الأساسي لتزكية النفوس، فقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على تزكية أرواحهم، وأرشدهم إلى الطريق الذي يساعدهم على تحقيق ذلك المطلب، مسترشداً بالقرآن الكريم الذي شملت آياته جوانب وسبل تلك التزكية، وأهمها: - التدبر في كون الله ومخلوقاته، وفي كتاب الله تعالى؛ حتى يشعروا بعظمة الخالق، وحكمته سبحانه وتعالى، والتأمل في علم الله الشامل، وإحاطته الكاملة بكل ما في الكون؛ بل ما في عالم الغيب والشهادة؛ لأن ذلك يملأ الروح، والقلب بعظمة الله، ويطهر النفس من الشكوك والأمراض.

- عبادة الله عز وجل، وهي من أعظم الوسائل لتربية الروح وأجلها قدراً؛ إذ العبادة غاية التذلل لله سبحانه، ولا يستحقها إلا الله وحده؛ والعبادات التي تسمو بالروح وتطهر النفس على نوعين: الأول: العبادات المفروضة كالطهارة، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج.. وغيرها، والثاني: العبادات بمعناها الواسع، حيث يشمل كل عمل يعمل به الإنسان، أو يتركه، بل كل شعور يقبل عليه الإنسان تقريباً به إلى الله تعالى، وكل شعور يطرده الإنسان من نفسه تقريباً به إلى الله تعالى، ما دامت نية المتعبّد بهذا العمل إرضاء الله سبحانه وتعالى، فكل الأمور مع نية التقرب إلى الله سبحانه وتعالى عبادة يثاب صاحبها، وترتّب روحه تربية حسنة.

- تعزيز مركزية الآخرة في نفوس

المنهج التربوي الإسلامي استطاع تزكية النفوس وإنارة العقول وتقوية الأجساد

.. وأنتج الشخصية الربانية التي تجسدت بشكل عملي في الكثير من قادة وأئمة المسلمين

المؤمنين، وذلك بتعظيمها والترغيب فيها وجعلها الغاية الكبرى والشاغل الأهم لعقولهم وقلوبهم، وفي المقابل التهوين من شأن الدنيا وتزهيد المؤمنين بقيمتها وتحقيرها.

ولم يهمل الإسلام جانب التربية الجسدية، فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه جسدياً، واستمد أصول تلك التربية من القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسم وظيفته التي خلق لها، دون إسراف أو تقتير، ودون محاباة لطاقة من طاقاته على حساب طاقة أخرى، ومن أهم قواعد وضوابط التزكية الجسدية التي تضمنها المنهج القرآني والنبوي:

- ضَبَطُ حاجة الإنسان إلى الطعام



والشراب والملبس والمأوى.
- ضَبَطُ حاجته إلى الزواج والأسرة بإباحة النكاح، بل إيجابه في بعض الأحيان، وتحريم الزنى، والمخادنة، واللوأط.

- ضَبَطُ حاجته إلى التملك والسيادة، بإباحة التملك للمال، والعقار والثروات، وتولي المناصب الدنيوية وفق الضوابط الشرعية التي تقضي بتحريم السرقة والظلم والعدوان والبغي وغيرها.

- ضَبَطُ حاجته إلى العمل والنجاح؛ بأن جعل من اللازم أن يكون العمل مشروعاً، وغير مضر بأحد من الناس، ونادى المسلمين أن يعملوا في هذه الدنيا ما يكفل لهم القيام بعبء الدعوة والدين، وربط العمل بالإيمان في كثي من آيات القرآن الكريم، واشترط في العمل أن يكون صالحاً.

استطاع هذا المنهج الدعوي والتربوي العظيم في تزكية النفوس، الذي تضمنه القرآن الكريم وسار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، أن يزكي الأرواح، وينور العقول، ويحافظ على الأجساد، وهو ما نتج عنه إعداد الشخصية الإسلامية الربانية المتوازنة التي تجسدت بشكل واقعي وعملي في الكثير من عظماء وقادة وأئمة المسلمين عبر تاريخهم، الذين مثلوا القدوة المثالية والمثال الأعلى الذي تقتدي به وتسير على دربه أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم، كالخلفاء الراشدين والصحابية وفضلاء التابعين، وجيل الفاتحين الأوائل، والأئمة الأربعة، وكبار العلماء والفقهاء، والخلفاء والقادة والأمراء الذين اشتهروا بالعدل والغيرة على الدين والأمة، وجرت على أيديهم أعظم الانتصارات والفتوحات في تاريخ الإسلام. ■



المدرب المتألق (3) التفاني والإصرار والالتزام والانضباطية

محاضرة على مجموعة من الأحاب.
قلت له: يسعدني ذلك، متى الوقت الذي
يناسبكم؟

هنا، تم تحديد موعد المحاضرة، وجهزت
مجموعة من الشرائح الإلكترونية حول
الفرص الوظيفية للمهندسين في الكويت،
وذلك لعرضها عليهم في أثناء اللقاء،
وانطلقت إلى المكان الذي حدده لي وفق
الزمن المتفق عليه.

رحب بي المهندس (الطالب المتخرج)،
فوضحت له أن المحاضرة جاهزة، وسألته
عن مكان العرض، فأرشدني إلى خيمة! وأن
بها شاشة عرض، و«بروجكتور»، ولوحاً ورقياً،
وأوراقاً، وأقلاماً.

واعجباً لما حدث بعد ذلك! دخلت الخيمة
فوجدت فيها شيوخاً كباراً في السن من
المتقاعدين عن العمل، قد تجاوزت أعمارهم
السبعين! كل منهم قد التحف برداء شتوي
(بشت)، وأخرج يديه من فتحتين ضيقتين في

المتألق على تنفيذها قبل الدورة: دراسة
المتدربين قبل الالتقاء بهم، ومعرفة طرق
التواصل معهم، ودراسة مكان اللقاء،
وتوفير سبل الراحة فيه، وتهيئة بيئة محفزة
للمتدربين، وتوفير هدايا رمزية لهم، وإعداد
مادة تدريبية متميزة، وإرسالها لهم قبل
الدورة.

وللتعبير عن ذلك، نذكر هذه القصة:
كنت في مكثي بجامعة الكويت في أثناء
الساعات المكتبية، فإذا بطالب يطرق الباب،
يستأذني في الدخول فأذنت له، ودار هذا
الحوار بيني وبينه:

الطالب: بارك لي د. موسى تخرجي في
كلية الهندسة، وأنا الآن أبحث عن وظيفة.
قلت له: بارك الله في تخرجك، وأين
تريد العمل؟

الطالب: لقد سألت سؤالاً جيداً،
وبهذه المناسبة، أريد منك
زيارتنا في منطقة الجهراء، لإلقاء



د. موسى المزريدي

مدرب معتمد في المهارات الإدارية والقيادية

نكمل، في هذا المقال، سمات المدرب
المتألق، التي كنا قد وضعنا في المقال السابق
سمتين منها، وهما: التوجيه والتطوير،
والإقناع والتأثير.

٣- التفاني والإصرار:

ينبغي أن تصل سمة التفاني والإصرار
إلى حدها الأعلى لدى المدرب المتألق، فيحدد
لنفسه مهمات عديدة، بحدود ثلاث أو أربع
مهمات في كل دورة تدريبية، يتفاني في
تنفيذها، ويصر على تحقيقها.
ومن أنواع المهمات التي يحرص المدرب

المدرّب المتألّق يسأل عن طبيعة المتدربين وأعمارهم ومستواهم الثقافي قبل اللقاء بهم

.. ويحرص على ربط المتدربين
به بالاهتمام بهم قبل الدورة
وفي أثنائها وبعد الانتهاء منها

ينبغي أن تصل سمة الالتزام
والانضباطية إلى حدّها الأعلى
لدى المدرّب المتألّق
ليكون قدوة

٤- الالتزام والانضباطية:

ينبغي أن تصل سمة الالتزام والانضباطية إلى حدّها الأعلى لدى المدرّب المتألّق، فيكون قدوة للمتدربين في الالتزام والانضباطية؛ من حيث الالتزام بالوقت، وتنفيذ المتطلبات، وتغطية المادة، ومكافأة المتميزين من المتدربين بشهادات التقدير والجوائز.

فهو أول من يصل إلى قاعة التدريب، وذلك قبل جميع المتدربين، وليعلم أن هناك متدربين يصل بعضهم إلى قاعة التدريب قبل بدء الدورة بساعة من الزمن! فكن موجوداً في قاعة التدريب قبل بدء الدورة بساعة من الزمن؛ لعدة أسباب وفوائد، منها:

- التأكد من جاهزية قاعة التدريب وتوفير المسلاط الضوئي (البروجكتور)، وشاشة العرض، واللوح الورقي، والسبورة، والأقلام الملونة، والإضاءة المناسبة، والتأكد من ترتيب المقاعد، وصف المناضد، ومواقع القوابس الكهربائية، وتوفير الوصلات الكهربائية، ومنابع شبكة الإنترنت.

- التأكد من جاهزية الأشربة، والأطعمة،

الرداء، يريد تدفئتهما فوق منقطة بها جمر! قلت للمهندس: أين أحبابك خريجو كلية الهندسة؟ لقد أعددت لهم عرضاً عن الفرص الوظيفية للمهندسين في الكويت!

قال المهندس: أنا قلت لك: إنهم مجموعة من أحبابي، وأردت منك أن تشاركني فرحة تخرجي معهم، ولم تسألني عن أعمارهم، ولا عن طبيعة الموضوع الذي سيُطرح، وأعجبني فيك، أنك وافقت مباشرة على طلبي، من دون تردد!

لقد أسقط في يدي! ألقيت التحية على الأحباب، وجعلت حاسوبي وراء ظهري، وشاركتهم دردشة حول الأوضاع الساخنة في البلد، في أمور لا علاقة لها بالفرص الوظيفية للمهندسين!

لذلك، فإن على المدرّب المتألّق أن يسأل عن طبيعة المتدربين وأعمارهم، ومستواهم الثقافي، قبل اللقاء بهم.

وإن من أنواع المهمات التي يحرص المدرّب المتألّق، كذلك، على تنفيذها في أثناء الدورة: التعرف إلى المتدربين فرداً فرداً، وإدخال المرح والتسلية في نفوسهم، ومنحهم فترات للراحة، وتناول شيء من الشراب والطعام في أثنائها، وعدم خروجه من قاعة التدريب مبكراً؛ حتى يكون حاضراً بينهم، من أجل النقاش والحوار.

في حين أن من المهمات التي يحرص على تنفيذها بعد الدورة: الثناء على المتميزين من المتدربين، ووعدهم بمنحهم جوائز تقديرية، وتذكيرهم بأهم المبادئ التي وردت في الدورة، وتزويدهم بمادة تزيد من معرفتهم، وإحاطتهم علماً بأخر المستجدات في موضوع الدورة.

ونستخلص من ذلك: أن المدرّب المتألّق يحرص على ربط المتدربين به من خلال الاهتمام بهم قبل الدورة التدريبية، وفي أثنائها، وبعد الانتهاء منها.

وسلات المهمات.

- التأكد من ضبط أجهزة الحاسوب، ومؤشرات الليزر، وفاعلية الفأرة، والأجهزة السمعية والبصرية.

- التأكد من توزيع المادة التدريبية على المناضد، وتوزيع المواد المساندة لها.

- الحرص على استقبال الطيور المبكرة من المتدربين، والتعرف إليهم، والاتفاق معهم على أمور تدعم الدورة التدريبية.

فالمدرّب المتألّق قدوة في الالتزام والانضباط، وليعلم أنه لو لم يستعد المتدربون من الدورة سوى الالتزام والانضباط في حياتهم الخاصة وحياتهم العملية لكفى.

ولنضرب مثلاً على ذلك بهذه القصة: في إحدى الدورات التدريبية للحرس الوطني الكويتي حول أسرار القيادة الفعالة، وكانت بإشراف خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الكويت، وقد عقدت بتاريخ ٢ ديسمبر ٢٠٢٣م، جعلت آخر نصف ساعة من الدورة خالصة للمتدربين يجيبون خلالها عن سؤال واحد، وهو: اذكر لي فائدة واحدة استفدتها من الدورة، وتريد تطبيقها في حياتك العملية.

كنت أعتقد أنهم سوف يذكرون لي بعض المبادئ التي ذكرتها لهم حول أسرار القيادة الفعالة، فإذا بهم يذكرون إعجابهم بالنمط الذي تم فيه إدارة الدورة.

ذكروا لي إعجابهم من عدم فرض رأيي عليهم، وترك مساحات للحوار والنقاش معهم، وعدم ضجرهم في أثناء الدورة، واستمرار الحيوية والطاقة والنشاط والحماسة طوال فترة انعقاد الدورة، وعدم طرحي للنظريات وحشو الكلام في أثناء الدورة، وتركيزي على التمارين والمسابقات ولعب الأدوار فيها، وعدم إضاعتي لأوقاتهم في أثناء الدورة، وضبطي للوقت ابتداء وانتهاء في جميع أيام الدورة. ■

اليهود.. البداية والنهاية (5) محطات في الطريق إلى فلسطين بعهد موسى عليه السلام



الشيخ خالد آل عبد اللاد داعية إسلامي

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا قَالَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَةً سَوَاءً، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مَنْ هَذَا فَصَبْرَ» (متفق عليه)، إن التأمل في قوله عليه السلام: «يرحم الله أخي موسى» يستشعر حجم المعاناة والأذى الذي رآه موسى عليه السلام في اختلاطه وتعامله مع بني إسرائيل.

فموسى عليه السلام نبي من أولي العزم الخمسة، وُلد ونشأ وتربى في قصر الفرعون بمصر إلى أن اشتد عوده واكتمل شبابه، «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» (القصص: ١٤)، وأصبح موسى منذ تلك الساعة رسولاً مبلغاً عن ربه جل جلاله، وذلك في الوقت الذي كان فيه بنو إسرائيل (الأسباط) مضطهدين مستعبدين بأمر فرعون، إذ كان يقتل أبناء بني إسرائيل، ويستبقي نساءهم للخدمة، ويستخدم رجالهم في الأعمال الشاقة المهلكة، وذلك بعدما أَفْلَتَ شمس دولة العزيز العادلة وأشرقت شمس دولة الفرعون الطاغية.

إعلان النبوة في قصر الفرعون:

لما أُرسل الله نبيه موسى إلى فرعون بقوله سبحانه: «اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٥﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٦﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ» (النازعات)، رأى الأسباط في موسى سبيل النجاة؛ فأمنوا به، لعله ينجيهم من ظلم فرعون وبطشه، فنجاهم الله جل وعلا بمعجزة ظاهرة، حيث جاء الأمر الإلهي لموسى بالهجرة من مصر إلى مسقط رأس أجدادهم بفلسطين، فاتجهوا ناحية البحر الأحمر، وشق الله لهم فيه طريقاً يابساً، وأغرق فرعون وجنوده، وتحقق لهم ما كانوا يتمنون، ورأوا بأعينهم هلاك من كان يظلمهم يضطهدهم؛ لذا امتن الله تعالى عليهم بهذه النعمة فقال سبحانه: «وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» (البقرة: ١٠).

المحطة الأولى: اجعل لنا إلهاً.. نكران

الفضل ونسيان الجميل:

قال تعالى: «وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ

تَجْهَلُونَ» (الأعراف: ١٢٨)، لقد تناسوا فضل الله عليهم، وما زالت معجزة البحر ماثلة أمام أعينهم، وراحوا يطلبون عبادة إله غيره، يطلبون عبادة أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، فأى طبع هذه التي تنكر الجميل، وتكسر اليد البيضاء التي تمتد إليهم بالخير! إنها جبلة الأسباط وطباعهم المتأصلة فيهم، التي ورثوها لأحفادهم من اليهود عبر الأجيال.

جاوز بنو إسرائيل البحر بمعجزة موسوية ظاهرة، ودمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون، ثم تابعوا المسير على الشاطئ الشرقي جهة سيناء، وعلى الرغم من نكرانهم فضل الله عليهم، وميلهم إلى عبادة غيره سبحانه وتعالى، إلا أن الله لم يعاملهم بجحودهم، وإنما أغدق عليهم من خزائن كرمه، وسحائب رزقه، لعلهم يتقون أو يُحدث لهم ذكراً.

موسى من أولي العزم الخمسة

وُلد ونشأ وتربى في قصر

الفرعون بمصر

ساورتهم الشكوك بأن يكون موسى قد كلم ربه فطلبوا رؤية الله جهرة!

عليهم فاستجاب الله له وأحياهم من بعد موتهم
لعلهم يشكرون.

المحطة الخامسة: وإذ نتقنا الجبل فوقهم.. وفي رفع الطور عبرة:

واصل موسى السير بقومه متجهاً نحو بيت
المقدس، كما واصل مسيرة الإصلاح والتربية
لهم، وذكرهم بأيام الله، يوم أن نجاهم وأطعمهم
وسقاهم، فما كان منهم إلا القسوة والتمرد
والإعراض عن أوامر الله ورسوله، عندئذ رفع
الله جبل الطور فكان كالغمامة فوق رؤوسهم،
وأيقنوا أن الله سيسحقهم ويهلكهم، حينها فقط،
وتحت ضغط القوة والتهديد، تاب الأسباط إلى
رشدتهم، وأظهروا تمسكهم بالتوراة، فهم قوم لا
يقبلون الاحترام ولا يعترفون بالسلام، ولا يحقون
الآخرين، لا يعترفون إلا بالقوة، ولا يحترمون إلا
الأقوياء.

ففي أول بروتوكولاتهم قالوا: «الحق مع
القوة»، هذا ما يعتقده، ولسان حالهم يقول: إننا
نحارب إذا نحن موجودون، فإننا نعيش في عالم
لا يحترم إلا الأقوياء.

وما أن أزال الله عنهم غمة الجبل، حتى
نكصوا على أعقابهم، وواصلوا تمردهم على
نبي الله موسى، قال تعالى: «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ
ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِّنَ
الْخَاسِرِينَ» (البقرة: ٦٤).

وها هي أنوار فلسطين للقوم قد تبتت، وها
هي نسائم البركات قد فاحت، وها هو الموكب
الموسوي قد شارف أبواب الأرض المقدسة، لتتم
الهجرة إلى فلسطين.

فهل دخلوا الأرض المقدسة؟ وكيف ومتى
دخلوا؟ هذا موضوع مقالنا القادم بعموم
الله تعالى. ■

الهوامش

(١) خطبة مفرغة بعنوان «صفحات سود من

تاريخ يهود»، محمد حسان.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب.

(٣) مع الأنبياء في القرآن، عفيف طباره.

(٤) القصص القرآني، صلاح الخالدي.

تمردوا على هارون وعبدوا العجل الذهبي من دون الله العلي سبحانه!

أربعين ليلة: كفروا بالله سبحانه، وتمردوا على
نبي الله هارون، وعبدوا العجل الذهبي من دون
الله العلي سبحانه! حيث قام رجل ماكر اسمه
السامري، وقال لهم: إن الذهب الذي اختلستموه
من أهل مصر قد أغضب الله عليكم، وإنما هي
أوزار تحملونها تؤخر عودة موسى إليكم^(١).

ثم أخذ السامري الذهب وطرح عليه قبضة
تراب وطأ عليها حافر دابة جبريل، ثم صهره
وصاغه في هيئة عجل له خوار، ثم قال لهم: هذا
إلهكم وإله موسى الذي غفل عنه وذهب يطلبه
عند الطور؛ فعبدوا العجل وتمردوا على عبادة
الله تعالى.

فلما انطلق نبي الله هارون ليقول لهم: «يَا
قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي» (طه: ٩٠): ردوا عليه: «قَالُوا
لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى»
(طه: ٩١)، سبحانه الله! وكان فطرتهم الملوثة تقبل
عبادة من لا يملك لنفسه أي شيء وترفض عبادة
الله الذي بيده ملكوت كل شيء.

المحطة الرابعة: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.. التمرد على التوبة من ذنوبهم:

أدرك الأسباط أنهم قد ظلموا أنفسهم بعبادة
العجل وأرادوا أن يعلنوا التوبة والذل لله تعالى،
وإن من شأن التائب أن يقبل بقلب ذليل منكسر
إلى ربه، أما هؤلاء القوم فقد شذوا عن هذه
القاعدة المطردة، ورفضت فطرتهم الملوثة بجراثيم
الكبر والتمرد أن يتوبوا إلى ربهم طواعية.

فقد اختار موسى سبعين رجلاً من خيارهم
وأشرفهم ليذهبوا معه عند جبل الطور ليقدموا
الطاعة، ويعلموا التوبة والندم لله على ما فعلوا
من جرم عظيم في حق من أكرمهم ونجاهم وأنعم
عليهم، وهناك كلم الله سبحانه نبيه موسى،
فساورت الشكوك قوماً منهم في أن يكون موسى
قد كلم ربه، فتمردوا وعصوا وقالوا: «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ
حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» (البقرة: ٥٥): فعاقبهم الله
جميعاً، وأخذتهم الرجفة، فزلزلوا وصعقوا وظلوا
يتساقطون على الأرض صرعى.

هنالك دعا موسى ربه متضرعاً أن يحييهم،
وألا يؤاخذ الجميع بسفاهة السبعين، وأن يتوب

بنو إسرائيل جاوزوا البحر بمعجزة إلهية ودمر الله ما كان يصنع فرعون

المحطة الثانية: لن نصبر على طعام واحد.. التمرد وعدم الرضا بما قسم الله:

ومن جميل فضل الله عليهم أنهم لما طلبوا
ماءً يشربون منه ويسقون دوابهم، فجّر الله لهم
اقتتي عشرة عيناً، بعدد أسباطهم وقبائلهم،
ولما أوشك طعامهم على النفاد، اختار الرزاق
سبحانه لهم طعاماً طيباً، وأنزل عليهم المن مدراراً
والسلوى أسراباً.

ولما اشتدت عليهم شمس سيناء بحرارتها،
شكوا إلى موسى، فدعا موسى ربه، فاستجاب له
وساق لهم الغمام يظللهم ويقيهم لفح الشمس،
وبعد كل هذه المعجزات الباهرة، والنعم السابغة،
يأمرهم ربهم بقوله: «كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ»
(البقرة: ٥٧): فإذا بهم قد جحدوا تلك النعم، ولم
يأبهوا لها فضلاً عن أن يشكروها، ورفضوا أن
يستمتروا عليها، وراحوا يطلبون غيرها قائلين:
«يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» (البقرة: ٦١)،
أرادوا ذلك الطعام الذي ألفوه بمصر زمان ذلهم
واستعبادهم، وكرهوا الطعام الهنيء الذي قدم من
الله لهم، وكان هذه القلوب قد أغلقت، والبصائر
طمست، حتى استبدلوا تمردهم الذي هو أدنى
بالذي هو خير.

سبحان الله! جبلة عجيبة، وطباع سوء غريبة
يقول عنها صاحب «الظلال»: «لقد كانوا بين
الصحراء بجديها وصخورها، والسماء بشواطئها،
ورجومها، فأما الحجر فقد أنبع الله لهم منه الماء،
وأما السماء فقد أنزل لهم منها المن والسلوى؛
عسلًا وطيراً، ولكن البنية النفسية المفككة،
والجبلة الهايطة المتداعية، أبت على القوم أن
يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا
من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء»^(٢).

المحطة الثالثة: لن نبرح عليه عاكفين.. التمرد على عبادة الله:

ولم يكتف الأسباط المتمردون بهذا، وإنما
بالغوا في تمردهم وطغيانهم، وكان من شأنهم
أنهم لما تركهم موسى وذهب لمناجاة ربه، وتلقّى
التوراة عند جبل الطور، وكان قد أخبرهم أن
المواعدة ثلاثون ليلة، فلما أمره ربه أن يتمم

صيغ الوحدة السياسية في أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر (2)

صيغة التكتلات الإقليمية



د. إبراهيم نويري

كاتب وباحث أكاديمي - الجزائر

محاولة إقليمية للوحدة بين كل من مصر وسورية، وقد تمت هذه الوحدة عام ١٩٥٨م، تحت اسم «الجمهورية العربية المتحدة»، وأصبحت مصر تُسمى الإقليم الجنوبي، بينما باتت سورية تُعتمد بالإقليم الشمالي، غير أن هذه الوحدة لم تصمد طويلاً، وتم الانفصال خلال سبتمبر ١٩٦١م.

- تجربة الاتحاد العربي: قامت هذه التجربة أيضاً بين كل من المملكة الأردنية الهاشمية والمملكة العراقية، عام ١٩٥٨م، غير أن هذا الاتحاد لم يعمر سوى بضعة شهور، فقد جاء الانقلاب العسكري في العراق، في ١٤ يوليو من العام نفسه، فبادر إلى إلغاء الاتحاد، وأعلن عن توجه جديد للدولة.

- تجربة اتحاد الجمهوريات العربية: قامت هذه التجربة عام ١٩٧١م، بين كل من مصر وليبيا وسورية، والاتحاد صيغة من صيغ التعاون في بعض المجالات، ولم يلغ الاتحاد سيادة الدول الثلاث، وكانت سورية الدولة الأكثر تمسكاً بهذا الاتحاد، حتى إن دستور عام ١٩٧٢م نصّ على ذلك صراحة بالقول: «إن الجمهورية

برجعنا إلى أدبيات الخطاب الإسلامي المعاصر فيما يتعلق بمسألة صيغ الوحدة السياسية، وجدنا أن المنتمين إلى هذا الخطاب ينقسمون إلى ثلاث فرق أو توجهات، نستعرضها فيما يلي:

التوجه الأول: التكتلات الإقليمية:

يذهب أصحاب هذا التوجه إلى أن الوحدة السياسية إذا كانت تعني فيما تعنيه إلغاء الدولة القطرية، والانصهار في وحدة إدارية كاملة، على النحو الذي كان أيام عهد الخلافة الإسلامية، فإنها أمر متعذر إلى أبعد الحدود، بالنظر إلى معطيات مختلفة، تتعلق بفسوخ فكرة الدولة القطرية، والنظرة إلى المسألة القومية وعلاقتها بالسيادة، وما إلى ذلك من معطيات؛ وبناء على ذلك، فإن الصيغة الواقعية للوحدة تتمثل في التكتلات الإقليمية، أو في اندماج نظامين سياسيين في صيغة نظام واحد، وهذه بعض أشهر نماذجها في هذا العصر: أي عقب سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية^(١)؛

- تجربة الجمهورية العربية المتحدة: وهي

بعد مرور قرن كامل على سقوط آخر تجربة من تجارب الخلافة الإسلامية (العثمانية) أو الجامعة الإسلامية السياسية، وبعد أن استعرضنا، في المقال السابق، قراءة تاريخية حول القوى الأوروبية في زمن الخلافة العثمانية ودورها في تفتيت الوحدة الإسلامية، نرصد في هذا المقال مراجعة وقراءة أبرز الآراء والصيغ التي قدمها لفييف من المنتمين إلى الفكر الإسلامي المعاصر بُعيد إسقاط الخلافة.

أصحاب هذا التوجه يرون أن الصيغة الواقعية للوحدة تتمثل في التكتلات الإقليمية أو اندماج نظامين

.. وأن الوحدة الثنائية أو الثلاثية أو
الرباعية إنما هي دليل عافية وصحة
ورغبة في وحدة الأمة

الإسلاميون لم يعارضوا الوحدات الأقليمية بل أيدها وتحمسوا لها من منطلق إحياء الوحدة الإسلامية

المواطنين، فلم يطلق الشعب السوري أن يحيا في
سجن بابه مغلق، ومفتاحه في القاهرة، وفي أول
فرصة أعلن الانفصال^(١).

إنّ ما يمكن ملاحظته وتسجيله في هذا
السياق أن المنتسبين إلى الخطاب الإسلامي
المعاصر لم يعارضوا فكرة الوحدات الإقليمية
الثنائية أو الثلاثية أو غيرها، بل أيدها
وتحمسوا لها، وذلك من منطلق أنها إحياء للوحدة
الإسلامية، ولو في بُعدها الاقتصادي أو الثقافي،
لأنها خطوة في الاتجاه الصحيح، إذا تم تطويرها
وتفعيلها قد تكون سبيلاً ممهداً لاستعادة الوحدة
السياسية الشاملة للمسلمين.■

الهوامش

(١) قائد محمد طربوش، التجارب الوجدانية
في العالم العربي، المكتب الجامعي الحديث،
الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٦.

(٢) عطاء الله محمد صالح الحديشي،
مجلس التعاون العربي خطوة على طريق
الوحدة، مجلة الرسالة الإسلامية، وزارة
الأوقاف العراقية، العدد (٢٢٦)، شعبان
١٤٠٩هـ/ أبريل ١٩٨٩م، ص ١١١.

(٣) يوسف القرزاوي، أمّتا بين قرنين، دار
الشروق، ط٢، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٥٠ -
١٥١.



المؤسسات الدينية في العراق:
«ومما شجع على قيام مجلس

التعاون العربي التشابه والتجانس في كثير من
الأمر السائدة في هذه الأقطار الأربعة، وقد
اختمرت فكرة إنشائه في عقول قادته منذ فترة
طويلة، إذ إنّ تشابه الأوضاع الداخلية يؤدي إلى
تأسيس شكل من أشكال التعاون»^(٢).

التجاوب مع التوجه العام

إن الذي يظهر في الخطاب الفكري
والسياسي الذي يستلغنه أصحاب هذا التوجه،
يتمثل في التجاوب مع التوجه العام الذي انطبعت
به جميع المشارب والتيارات في الأمة عامة
والعرب خاصة، إزاء موضوع الوحدة، فقد مرّ على
العرب حين من الدهر، كانت فيه الوحدة القاسم
المشترك بين كل الفصائل والتوجهات الفكرية،
ولم يكن حينها مهماً طرح بعض الأسئلة من
قبيل: كيف تتحقق هذه الوحدة، ولا نوعيتها؟ ولم
يكن من بين تلك التيارات من يعتبر فكرة الوحدة
رومانسية سياسية، بل كان هناك تنافس بين
العديد من الاتجاهات والمنازع والأيديولوجيات
على تحقيق الوحدة، وكان كل اتجاه يرى نفسه
الأكفأ والأقدر على جعل حلم العرب واقعاً مثلاً.

وفي خضم سيطرة فكرة الوحدة على
المرجعيات والمشارب الفكرية لمختلف التيارات،
لم ير عدد من رموز المنتسبين إلى الخطاب
الإسلامي أي غضاضة في تأييد بعض صور
وأشكال الوحدة الجزئية، تلك التي جمعت بين
قطرين أو ثلاثة أو أكثر، وهي ما اصطلاح عليه
ب«الوحدة الإقليمية»، ومثال ذلك الشيخ يوسف
القرزاوي، الذي نجد له نصاً يقول فيه: «فشلت
وحدة مصر وسورية، وهي أعظم خطوة للوحدة
تمت في عصرنا، استقبلها العرب في كل مكان
بفرحة غامرة، وترحيب هائل، وتأييد منقطع
النظير، وقد شهدت ذلك بنفسه، وسرعان ما
تهدمت هذه القلعة، وتهوى بنيانها، وانتهت من
التاريخ، بسبب طغيان الحكم، وحكم الطغيان،
والاستبداد الذي بغى على حقوق الإنسان، وحرية

العربية
الجمهوريات
الأمة العربية».

- تجربة الاتحاد
لجبرت هذه التجربة بين ليبيا والمملكة المغربية،
وذلك عام ١٩٨٤م، غير أن هذا الاتحاد سرعان
ما داهمته عوامل الفشل، نتيجة الفوارق الكبيرة
بين طبيعة النظامين السياسيين.

- تجربة الوحدة بين تونس وليبيا: أعلن
عن هذه التجربة في جزيرة جربة التونسية،
خلال عام ١٩٧٢م، وكانت هذه التجربة من
أسرع التجارب الوجدانية سيراً إلى الفشل، فقد
ولدت ضعيفة واهنة أو ميتة، وكانت عنواناً على
الارتجال والاندفاع في اتخاذ القرارات السياسية
العشوائية المتعجلة التي تتعلق بمصير الشعوب،
والدليل على ذلك أن الاتحاد ألغي بعد ساعات
قليلة على إمضاء بنوده.

- تجربة حلف سعد آباد بين كل من
أفغانستان وإيران وتركيا والعراق: أعلن رسمياً
عن قيام هذا الحلف، بقصر سعد آباد بطهران،
في ٨ يوليو ١٩٢٧م، وتتص اتفاقية هذا الحلف
على حماية الحدود المشتركة، وعدم التدخل في
الشؤون الداخلية، والتشاور المستمر في القضايا
الدولية التي لها علاقة بالمصالح المشتركة لأقطار
هذه الاتفاقية.

ويذهب بعض أنصار هذا التوجه إلى أن
الوحدة الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية، إنما هي
دليل عافية وصحة، ورغبة في وحدة الأمة، لكن
وفق صيغة انسجام المناطق، حسب نوعية الأنظمة
القائمة والتركيبية السكانية والمستوى الاقتصادي
لسكان تلك المناطق.

وعن الوحدة التي جمعت بين كل من
مصر والأردن والعراق واليمن تحت عنوان
«مجلس التعاون العربي»، يقول مدير عام دائرة



توفي في 23 أبريل 1985م..

د. كامل البوهي.. الرائد الأول للإعلام الإذاعي الإسلامي



بقلم: د. محمود خليل

ظلت مصر ومن حولها قرابة ٢٠ عاماً تستفتح يومها في الساعة السابعة صباحاً على النداء الندي الرطب الذي يطلقه د. كامل البوهي عبر ميكروفون «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة»: «يا أمة القرآن»، ثم يردفه بقوله: «يا خير أمة أخرجت للناس»، ثم يتناول موضوع حلقاته، الذي يترسل فيه بصوته العميق الرقيق، وجرسه النافذ المؤثر، وفبراته الأليفة الودود.

وكامل البوهي، يمكننا القول فيه وفي العديد من أبناء جيله: إنه ظاهرة إعلامية متكاملة؛ صوتاً، وعلماً، وبحثاً، وحرفية، ومهارة.

ولد كامل عبدالمجيد الحفني البوهي بقرية «أشمون جريس» التابعة لمحافظة المنوفية، في ٢٨ ديسمبر ١٩٢٤م، والتحق بكتاب القرية، فحفظ القرآن الكريم، ثم حصل على المراحل الابتدائية والكفاءة والتوجيهية والثانوية، وتخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة العربية، حيث عمل مدرساً لمدة عام، ثم التحق بـ «الإذاعة المصرية» عام ١٩٥٤م، وتنقل بين خدماتها الإعلامية المختلفة، إلى أن استقر به المقام مديراً لإذاعة القرآن الكريم من القاهرة، وكانت مع بدايات بثها عام ١٩٦٤م، في قسم يتبع الشؤون الثقافية والدينية بالإذاعة المصرية، حيث كان يشرف على القسم الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل، إلى أن أصبحت «إذاعة القرآن» إدارة مستقلة ضمن الخدمات الإذاعية المختلفة، وأصبح البوهي أول مدير لها عام ١٩٦٤م، ليبدأ في فتح صندوقه الإذاعي المكتنز؛ لغة، وعلماً، وثقافة، وتألّفاً وجمالاً.

أكمل البوهي دراساته العليا فحصل على الماجستير ثم الدكتوراة ضمن بعثته العلمية لجامعة بلجراد بيوغوسلافيا (قبل تقسيمها) متخصصاً في اللغة «الصربكرواتية» عام ١٩٦٣م. قام بالتدريس بكليات الدراسات الإسلامية، واللغة العربية بجامعة الأزهر، كما قام بالتدريس بمعاهد الخدمة الاجتماعية، مدرساً لمواد اللغة العربية واللغات الشرقية، والفكر الإسلامي، كما قام بتدريس مادة «الصحافة» بقسم الصحافة والإعلام بجامعة الأزهر، وذلك بالتوازي مع عمله الإعلامي المرموق.

أعد وقدم عدداً من أشهر البرامج الإذاعية، مثل: «يا أمة القرآن»، «القاموس الإسلامي»، «رأي الدين»، «في روضة الرسول»، «رب زدني علماً»، «في نور القرآن»... وغيرها من البرامج التي أعدها وقدمها على امتداد مسيرته الإعلامية الشهيرة الناجحة.

كان البوهي خطيباً مفوهاً، وشاعراً ضليعاً، ومحاضراً فريداً، تأخذك رشاقة لفته، وجزالة ألفاظه، وطلاوة أدائه، وعمق فكرته، وكان -بصفة شخصية- طوافاً في أرض الله يمكن أن يلقي عدة محاضرات وندوات في اليوم الواحد، وفي أماكن متفرقة من أرجاء مصر.

ومن أشعار د. كامل البوهي التي صارت مثلاً بضريه الخطباء على المنابر قوله:

الركن الثالث منهدمٌ

والناس تموت من الفقر

الردة عادت وأسفًا

أين الصديق أبو بكر؟

وهي جزء من قصيدة رائعة يقول فيها:

الركن الثالث منهدم

والناس تموت من الفقر

الردة عادت وأسفًا

أين الصديق أبو بكر

فغنّى يكنز أموالاً

ومتاعاً زاد على الحصر

ميزان العدل تطيح به

كف للجور المنتصر

وإذا ما أبصر مسكيناً

يرميه بشرر كالقصر

من للمسكين يؤانسه

كي يصبح في عين البصر

وله أشعار متعددة، ومتناثرة، لم يحتفظ

بها، إنما كان يلقيها في خطبه ومنندياته إلقاءً

بليغاً مؤثراً.

معارضة وتجميد

ظل كذلك إلى أن أثقل في محاضرة له

على الكيان الصهيوني، وهاجم اتفاقية «كامب

ديفيد» بشدة؛ فأضى بشأنه المصباح الأحمر،

نداؤه اليومي في برنامجه الصباحي «يا أمة القرآن» جمع من حوله الملايين حول الفهم المعاصر للقرآن الكريم

صاحب أول عمل معجمي «صربكرواتي» بالاشتراك مع المستشرق العلامة اليوغوسلافي حسن قلشي

ترأس «إذاعة القرآن الكريم» و«اتحاد الجمعيات الخيرية» وأسس جمعية «كل مسلم»

كان حزمة من المواهب الأصيلة ومثلاً في التفاني والإجادة

يبتلعوا هذا الرأي لأنه خطأ جسيم، فالعربية تتلاءم وتتواءم مع طبيعة الأصوات العربية، الناطقة بها والمعبرة عنها.

ومما لا شك فيه أن الأبجدية اليابانية أصعب بكثير من الأبجدية العربية، ومع ذلك لا يوجد في اليابان أمي واحد، ولم تعق صعوبة اللغة اليابانية تقدم اليابان.

فكيف باللغة العربية وأهلها كانوا العالم الأول لألف عام أو يزيد؟

لكن اللغة بنت الحضارة، والعرب الآن هم الذين يجنون على اللغة العربية وليس العكس.

رحم الله د. البوهي، الذي كان مدرسة في الأداء الإذاعي والوعي الدعوي والبيان العربي الفصيح الصحيح، فترك تراثاً، ورى جيلاً يحمل أبنائه هم الإعلام الإسلامي في هذه الأيام الصعبة التي تحياها أمتنا في معركة البقاء. ■

المصادر

- ١- المختار من الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة: محمد بن محمد بن صالح بن محمد البوسنوي، المعروف بالخانجي، هدية مجلة الأزهر، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٢- سلسلة الحضارة الإسلامية في العالم (في يوغوسلافيا): د. كامل البوهي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، السنة الثالثة، العدد الثلاثون، غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٨٧هـ/ ٥ سبتمبر ١٩٦٧م.
- ٣- عندما يتحدث الأدباء: د. علي شلش، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م
- ٤- ملف خدمة كامل عبدالمجيد البوهي بالإذاعة المصرية.
- ٥- لقاءات مع د. كامل البوهي وأسرته، خاصة ابنه الزميل أحمد كامل البوهي، المدير العام بإذاعة «صوت العرب».

منحه الرئيس السادات وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٨٠م، ونال جائزة الرواد الإذاعيين عام ١٩٨٢م.

انتقل د. كامل البوهي إلى رحاب ربه في ٢٣ أبريل ١٩٨٥م.

صفحات مجهولة

لكن الصفحة المطوية من حياة البوهي هي تلك الصفحة العلمية العميقة المتخصصة، صفحة تخصصه في اللغة العربية، وما تفرع عنها من دراسة الآداب، والتخصص في اللغة الصربوكرواتية، وصدافته المطولة المنتجة مع المستشرق اليوغسلافي الكبير العلامة حسن قلشي، صديق العرب والعروبة والإسلام، تلك الصداقة العلمية التي كتب عنها كثيراً الأديب الناقد الكبير د. علي شلش، وتناولها تفصيلاً في عدد من بحوثه ودراساته، خاصة فيما يتعلق بالقاموس الصربوكرواتي، الذي ألفه بالاشتراك مع د. البوهي، وقد استغرق تأليفه وإعداده أكثر من ٤ أعوام، ويضم ٥٠ ألف كلمة، وهو المرجع العلمي الوحيد في هذا الباب.

وبعد إنجاز القاموس، قال د. حسن قلشي: لقد استطاع الدارس العالم المصري د. كامل البوهي أن يدرس الأدب اليوغسلافي بجامعة بلجراد، دراسة عميقة وشاملة.

وكان موضوع الدكتوراة لكامل البوهي «مؤلفات أدباء اليوغسلاف باللغة العربية»، وهو باب واسع من أبواب الدراسات الاستشرافية، خاصة بعد تأسيس «جمعية المستشرقين اليوغسلاف» التي أسسها د. قلشي، في أكتوبر ١٩٦٤م.

وفي هذا الباب كان د. البوهي متماهياً مع رأي أستاذه د. حسن قلشي في أن الذين يزعمون من المستشرقين أن على العرب اتخاذ الأبجدية اللاتينية السهلة، إذا أرادوا أن يتقدموا بدعوى صعوبة الأبجدية العربية، هؤلاء عليهم أن



منحه الرئيس السادات وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٨٠م ثم وضعه في السجن لمعارضته «كامب ديفيد»!

وكان ضمن حوالي ١٥٠٠ من المعتقلين في سبتمبر ١٩٨١م، وظل بالمعتقل لمدة عام، ثم أفرج عنه بعد ذلك، ليتم تجميده وظيفياً، وإعلامياً، فعمل بوظيفة هامشية، كمستشار بالإذاعة المصرية، عام ١٩٨٢م إلى أن لقي ربه في ٢٣ أبريل ١٩٨٥م.

ترك البوهي تراثاً ضخماً من الدعوة والفكر الإسلامي، يتمثل في آلاف الخطب والدروس والمحاضرات، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، كما ترك عدة كتب علمية، أهمها:

- نحو إعلام إسلامي.
- التربية الإسلامية بين النظرية والتطبيق.
- في نور القرآن الكريم.
- دعوة مع السعادة.
- المسلمون حول العالم.
- القاموس الصربوكرواتي.

أسس جمعية «كل مسلم» عام ١٩٨١م، وترأس اتحاد الجمعيات الخيرية الأهلية بقرار جمهوري، وذلك قبل اعتقاله آخر هذا العام. كما كان عضواً بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والمجالس القومية المتخصصة، ومنظمة الإذاعات الإسلامية (التي كان أحد مؤسسيها)، والمجلس الإسلامي الأعلى للمساجد، واتحاد كتّاب مصر، ولجان اختيار واختبار القرآن الكريم بمصر والعالم الإسلامي.

توفي في 10 مارس 2024 عن 99 عامًا..

الشيخ المحلاوي.. الإمام الذي غير الإسكندرية



وعمل في عام ١٩٥٨م إمامًا وخطيبًا بوزارة الأوقاف المصرية.

مسجد السطوحى

وعين في البداية بمدينة البرلس، إماما لمسجد يسمى السطوحى، وكان للناس هناك عادات وتقاليـد لا تتفق مع صحيح السلوك الإسلامى، مثل إقامة المولد السنوى، ورفع الرايات ودق الطبول، وحضور الدراويش، والدوران حول الضريح وإضاءة الشموع ونحو ذلك، فجعلهم الشيخ يتخلون عن هذه العادات، ويتجهون نحو العبادات الصحيحة. واستمرت إمامة الشيخ المحلاوي لمسجد السطوحى حتى عام ١٩٦٣م، لينتقل بعدها إلى محافظة الإسكندرية بناء على أمر وتكليف من وزير الأوقاف وقتها د. محمد البهي، فيبدأ فصلاً جديداً من فصول حياته في مسجد سيدي جابر، أسماه الشيخ بمرحلة الانتقال «من عالم الريف إلى عالم

تسمى محلة القصب، إحدى قرى مركز كفر الشيخ، حيث ولد فيها أول يوليو ١٩٢٥م، وتوفي بالإسكندرية في ١٠ مارس ٢٠٢٤م، وكان والده -كما يقول- رجلاً يزاوِل الفلاحة دون إجادتها، وانفصل عن إخوته، مما دفعه للانتقال إلى البراري شمالاً، فأقام في قرية تسمى «الشمارقة»، وعمل هناك مقاول أنفار، بعدها باع بعضاً من حلي الوالدة واشترى قطعة أرض في المنطقة، ومن بعدها عزّ عليه أمر إخوته فاشترى لهم أرضاً إلى جواره، مع أنهم أخرجوه منها في السابق، وكوّنوا عزوة، وعزبة تسمى عزبة المحلاوي.

مئات الشرائط

لم يترك الشيخ آثاراً من الكتب أو المؤلفات، وإن كان بعض محبيه قد نشروا كتيبات فرغوا فيها بعض خطبه ودروسه، ولعلي رأيت في السبعينيات بعضاً منها في «دار الاعتصام» و«المختار الإسلامى»، ولكن متابعيه سجلوا خطبه ودروسه على شرائط بلغت المئات، وكانت تلقى رواجاً ملحوظاً لسهولة سماعها في المسجلات، وإفادة عدد كبير من المستمعين.

ربما كان أفضل ما تركه مكتوباً حديثه المطول إلى صحيفة «المصري اليوم» الذي نشر على أربع حلقات متتابعة بدءاً من الثلاثاء ٦ مايو ٢٠٠٨م، وسجل فيه آراءه حول كثير من القضايا الخاصة والعامة، وهو ما اعتمدنا عليه بصورة أساسية في كتابة هذه الترجمة الموجزة.

تخرج الشيخ في قسم القضاء الشرعي بكلية الشريعة جامعة الأزهر عام ١٩٥٧م،

بقلم: د. حلمي القاعود

هذا عالم دين قام بواجبه في ظل ظروف صعبة إرضاء لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لم تخفه أدوات القمع، ولم ترهبه المعاناة على مدى عمره الطويل الذي امتد ليقترّب من المائة عام مليئة بالعلم والعمل، ونشر الدعوة وتربية الأجيال، وتنمية الوعي، وقبل ذلك وبعده، إقامة الصلاة، عنوان الدين والدلالة عليه، وطريق النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي.

الشيخ أحمد عبد السلام المحلاوي، إمام مسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، واحد من أبناء الريف المصري البسطاء، وتلميذ من تلاميذ الأزهر الشريف الأذكياء، شغل مصر والمصريين منذ ستينيات القرن الماضي حتى رحيله في مارس ٢٠٢٤م، وغير اتجاه المجتمع في الإسكندرية، وبالتالي في مصر ليعود الناس إلى نبع الإسلام الصافي، ويلتزموا بتعاليم الدين الحنيف في العلم والعمل، والمظهر والمخبر، وينطلقوا لبعث القيم الإسلامية في أرجاء المجتمع.

أقصر الطرق

كان مؤمناً أن التربية الإسلامية هي أقصر الطرق إلى بناء مجتمع إسلامي، ومن ثم الدولة الإسلامية، وتجلى ذلك في المواقع والمؤسسات التي عمل بها، وانطلق منها لتطبيق منهجه التربوي، مما يجعل القول بتغيير الإسكندرية صحيحاً على النحو الذي سنوضحه فيما بعد.

الشيخ المحلاوي ابن رجل فلاح من قرية

لم ترهبه أدوات القمع على مدى عمره الطويل المليء بالعلم والعمل ونشر الدعوة وتربية الأجيال وتنمية الوعي

كان مؤمناً أن التربية الإسلامية هي أقصر الطرق إلى بناء مجتمع إسلامي ومن ثم الدولة الإسلامية



غَيَّر اتجاه المجتمع ليعود الناس إلى الإسلام ويلتزموا بتعاليمه في العلم والعمل والمظهر والمخبر وينطلقوا لبعث القيم الإسلامية

يعد من أشهر الدعاة الذين تناولهم السادات في خطابه يوم ٥ سبتمبر ١٩٨١ قبل اغتياله بشهر

أن يكون الحضور قبل صلاة العصر بنصف ساعة والانتهاه بعد صلاة العشاء، لذلك كان الطالب يصلي بالمسجد ثلاثة فُروض».

وبالنسبة للبنات كان الشيخ يشترط حضورهن بالحجاب، وكان يستجيب للأمر لأن الدروس مجانية، وكثيرات منهن تعودن عليه.

طلاب الجامعات

ولم يقتصر الأمر على طلاب المدارس، بل تعداه إلى طلاب الجامعات، وخاصة بعد انتقال الشيخ إلى مسجد القائد إبراهيم الشهير بمحطة الرمل، فكلم من يعرف من الأساتذة لمساعدة طلاب الجامعة في دروسهم، وبدورهم دعوا زملاءهم الذين بذلوا جهوداً كبيرة لخدمة طلاب الطب والهندسة والعلوم وغيرها من الكليات العملية، ومن هؤلاء نشأ ما يعرف بالجماعات الإسلامية، وكان من أبرز تلاميذه، صفوت حجازي، والشهيد بإذن الله عبدالعزيز الرنتيسي، ومحمد إسماعيل المقدم، وغيرهم ممن عُرفوا بقيادة الجماعات الإسلامية.

وخطا الشيخ خطوة أخرى حين جعل المسجد في خدمة المجتمع، فأنشأ أول جمعية إسلامية، وكانت «جمعية سيدي جابر» أول حدث في مساجد الأوقاف لا يقف عند حدود الصلاة والعبادة، بل يتعدى لمتطلبات المسلم من دراسة وعلاج واجتماعيات.

«هايد بارك» الإسكندرية

وقد حوّل المحلاوي مسجد القائد إبراهيم إلى حديقة «هايد بارك» الإسكندرية، فكانت تُعقد فيه المؤتمرات المهمة التي تنتقد اتفاقية «كامب ديفيد» وكل السياسات الخاطئة نحو العدو النازي اليهودي في فلسطين المحتلة أو غيره، مما

البنطلون والميني جيب»، ويرجع فايز النوبي، أحد تلامذة الشيخ المحلاوي المقربين، سبب هذه الترقية إلى أن د. البهي «وجد أن الشيخ المحلاوي من الأئمة النشيطين، والعلماء المتميزين، الذين ينبغي أن يُعَمّ النفع بهم وتستفيد منه جماهير الإسكندرية، فنُقل إليها وعمل بمسجد سيدي جابر، الذي جعل منه الشيخ شعلة نشاط حقيقية».

الذهاب إلى الشباب

يقول الشيخ: «عندما جئت إلى الإسكندرية لم يعجبني أسلوب الدعوة، فلم يكن يوجد بالمسجد سوى موظفي المعاشات والبوابين، لا توجد امرأة، ولا يوجد شاب، ففكرت حينذاك الذهاب إلى الشباب وعدم انتظار مجيئهم للمسجد».

ويستكمل الرجل: «وحتى أنجح في ذلك التحقت بالمدارس الخاصة أدرس فيها صباحاً، وأتفرغ للمسجد في فترة المساء، واكتشفت من اتصالي بهم بُعدهم الكامل عن الدين»، لدرجة أنه كان ينظم لهم رحلات يوم الجمعة إلى المسجد للتعرف عليه!

وبعد مُدَّة، رأى المحلاوي ضرورة التوسع في أمر الدعوة التي كانت مقتصرة على مدرسة واحدة، ففكر في طريقة تشجيع أكبر عدد من الشباب للقدوم للمسجد، وقال: إن هذه الخطة كان عنوانها «نقل المدرسة للمسجد»، فاتفق مع مجموعة من زملائه المدرسين على إعطاء دروس خصوصية مجانية لجميع المراحل العمرية داخل المسجد، مشيراً إلى أن «الدروس الخصوصية كانت في الستينيات تُشكّل عبئاً كبيراً على الأسرة، لذلك كان المتوقع أن يكون الإقبال على دروس المسجد كبيراً، وهو ما حدث فعلاً، ولأن الهدف كان إيمانياً، فقد اشترطت

أغضب المسؤولين، ولكنه لم يأبه لذلك، وراح يقوم بجولات في جميع المحافظات ويلقي خطباً نارية تهاجم القيادة والسياسة مما عرّضه لمتاعب وملاحظات قضائية وإيقاف عن العمل، ولكن الجموع كانت تحيط به وتسانده حتى أوقف تماماً عن الخطابة في عام ١٩٩٦م.

جمعة الرحيل

في ٤ فبراير ٢٠١١م، قام المحلاوي بأداء خطبة الجمعة في جامع القائد إبراهيم لأول مرة منذ إيقافه قبل ١٥ عاماً، وسميت «جمعة الرحيل» في أعقاب ثورة ٢٥ يناير، وظل المحلاوي يحفز المتظاهرين بخطبه الحماسية حتى رحيل مبارك عن الحكم يوم الجمعة ١١ فبراير ٢٠١١م.

تقارير غير صحيحة

ويعد المحلاوي من أشهر الدعاة الذين تناولهم الرئيس الأسبق أنور السادات، حيث تناوله في إحدى خطبه يوم ٥ سبتمبر ١٩٨١م قبل اغتياله بنحو شهر، حين وصفه أنه ملقى في السجن مثل الكلبا ويبدو أن السادات كان ممثلاً منه بسبب تقارير غير صحيحة أسندت إلى الشيخ أنه خاض في شؤون أسرة السادات وزوجه، ولكن الشيخ نفى ذلك تماماً، والتسجيلات المطروحة لخطبه

وأحاديثه تخلو من ذلك تماماً، وإن كانت تركز على رفض سياساته بعامّة، والصلح مع الأعداء في فلسطين بخاصة، والتفريط في وقف إسلامي تملكه الأمة الإسلامية وهو فلسطين.

أب لهم جميعاً

لم ينتم الشيخ يوماً لتنظيم أو حزب، بل كان حاضراً دائماً بين الجماهير ومُنتمياً لهمومها، ومع أن قيادات الجماعات الإسلامية كانوا معروفين لديه بحكم التلمذة في المسجد، فلم ينحز إلى جماعة معينة، وكان يرى نفسه أباً لهم جميعاً، وكان يسعى بقدر جهده ليغرس فيهم وسائل التربية الإسلامية، وإنضاج المجتمع المسلم ليكون على استعداد للتضحيات، ولذلك رفض العنف بشدة، ورأى أنه لا يفيد الدعوة ولا المجتمع، ولا يحقق نتائج إيجابية.

بيئة محبة

ولعل منهجه التربوي الواعي خلق من حولة بيئة محبة له تدافع عنه وتؤازره في المواقف الصعبة، وبسبب ذلك وجدت السلطة صعوبة كبيرة في القبض عليه نظراً لشعبيته الجارفة بالإسكندرية التي تغيرت لتدافع عن الإسلام وعلمائه، وهذا ما بيّنه الباحث عبدالمنعم منيب بقوله: «كان كل أهل الإسكندرية يحبون الشيخ المحلاوي لمعارضته القوية والعلنية للسادات، وأيضاً لأنه كان يقوم بأعمال مجتمعية وخيرية واسعة بمساعدة الفقراء والأرامل واليتامى، سواء في مجال المعيشة أو العلاج، كما كان ينسق دروساً خاصة لطلبة كليات الطب والعلوم والهندسة الفقراء بالمسجد، ويساعدهم في الحصول على الأدوات والكتب المطلوبة لدراساتهم ولعاملهم، وكل ذلك عبر جمعه الأموال من المتصدقين وتخصيصها وتوزيعها في هذه الأغراض».

ومن هنا فقد خرج نحو مليون متظاهر بالإسكندرية صبيحة اعتقاله مما أجبر مباحث أمن الدولة على إطلاقه من الاعتقال لتهدئة الناس، ويعد أن هدأ الناس بعدة أيام

رفض العنف بشدة ورأى أنه لا يفيد الدعوة ولا المجتمع ولا يحقق نتائج إيجابية

لم يترك كتب أو مؤلفات ولكن متابعيه سجلوا خطبه ودروسه على شرائط بلغت المئات

أعيد اعتقال الشيخ أحمد المحلاوي مرة أخرى.

كما يحكي عنه فايز النوبي، أحد طلابه المقربين قبل وفاته بسنوات: «ولا يزال فضيلته بفضل الله عز وجل رغم بلوغه الثالثة والتسعين من عمره بكامل صحته وعافيته وذاكرته، يلتقي أحبابه وتلاميذه بمنزله بالإسكندرية، بل ويلقي لهم درساً أسبوعياً في التفسير، ويردّ من خلال الهاتف على أسئلة واستفسارات الجماهير، ويقضي ما استطاع من حوائج المسلمين»، كما لا تزال قنواته على موقع «يوتيوب» حتى الآن تنشر له دروسه في التفسير بشكل منتظم.

سأقول: لا!

ويمكن فهم رؤيته بصفة عامة من خلال قوله في بعض إجاباته لـ«المصري اليوم»: «لو فرض وعُرض عليّ اليوم بوصفي عالماً مسلماً حُكّم مصر سأقول لا، لماذا؟ لأن القاعدة ليست مهياة، وبالتالي لن تقف معي، وإذا حدث وتوليت الحكم وجاءت أمريكا الدولة العظمى ومنعت عني سفينة غلال سيثور الشعب ضدي، وبالتالي أكون قد أعطيت صورة مشوهة عن الإسلام، وبدلاً من ذلك عليّ أن أعد نفسي حتى يأتي الوقت المناسب لتولي الحكم، وهذا ما كنت أنتظره من جماعة الجهاد، وعلى سبيل المثال؛ فقد التقيت أثناء وجودي بالسجن عقب مقتل السادات بأفراد ممن عرفوا بتنظيم الفنية العسكرية التابع لصالح سرية، وسألتهم:

كم كان عددكم؟ قالوا: كنا ٩٠ فرداً، قلت: وما الإمكانيات التي كانت لديكم؟ قالوا: كان معنا حبال وسكاكين، كما ورد بالتحقيقات، واستغربت لبدائية الإمكانيات، وأكدت لهم لو أن السادات علم بهذه المؤامرة وتصرف بعقلانية وأعطاكم حكم مصر بشكل سلمي بدلاً من موت نصفكم كما حدث ما وجدتم من بينكم من يصلح ليكون وزيراً للخارجية أو الداخلية.

الشيخ الذهبي

أما الشيخ الذهبي فقد التقيته في الإسكندرية قبل مقتله بأقل من شهر وقضينا معاً وقتاً جميلاً، وكانت علاقتي به جيدة، لذلك كنت في غاية الحزن عند مقتله وخرجت على رأس مظاهرة للتنديد بذلك؛ لأنني أعرف من هو الشيخ الذهبي، كما أن قتل عالم مسلم على يد جماعة تنتمي شكلاً للإسلام فهذه مصيبة أن يقتل بعضنا بعضاً.

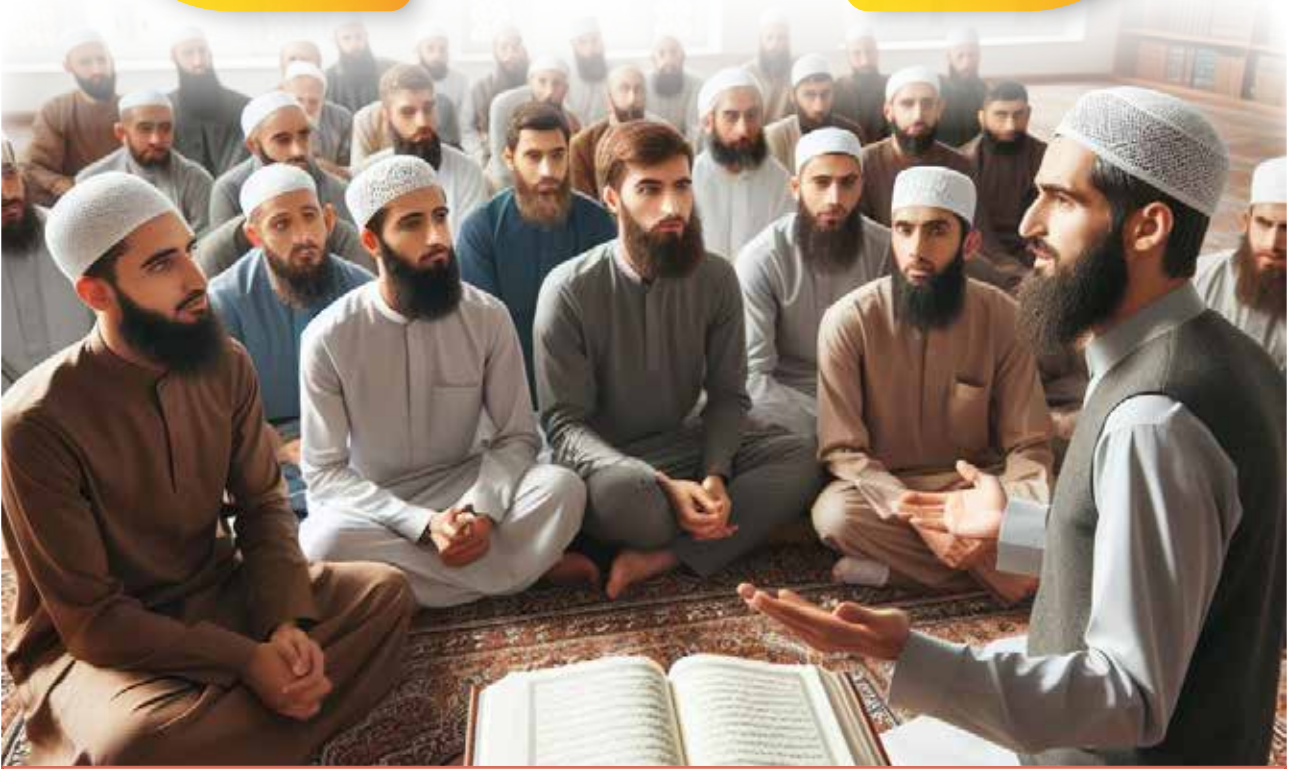
ويضيف الشيخ المحلاوي: «الجماعات الإسلامية كانت ولا تزال بخير، أما عمليات القتل فجميعها لم يكن يعجبني، وليس هذا هو الأسلوب المطلوب، بل إننا لم نستفد من وراثتها حتى من قتلوا السادات، قل لي: ماذا فعلوا؟ فهؤلاء الأولاد كان لهم دور بناء في الصعيد فعلاً، وعندما اتجهوا للقتل لم يعد لهم دور؛ لأنهم غيروا المسار، فقد كان أمامهم طريق طويل نهايته ليست القتل أبداً، لكنهم استعجلوا فقطفوا الثمار قبل أوانها، رغم أنهم كانوا الركيزة الأساسية في عملية تربية الشعب».

الحرية تقود إلى الله

ولعل أهم مقولة نقلت عن الشيخ أن «إطلاق الحريات كفيل بأن يقود الجماهير إلى الله».

رحم الله الشيخ المحلاوي، فقد كان مثلاً لعالم الدين الواعي الذي لا يخشى في الله لومة لائم، وخدم دينه وأمته بقدر ما استطاع، وهو كثير بلا ريب. ■

الأسس النفسية للتأثير الدعوي (7) تهيئة المدعويين



يحتاج التأثير الدعوي إلى بصيرة تسهم في إدراك الواقع وفهم الواجب تجاهه، من أجل الوصول إلى الهدف وتحقيق الغاية، وإن الدعوة الإسلامية تتطلع إلى تكوين هذه البصيرة في الدعاة، حتى يدركوا ما تنطوي عليه نفوس الناس، وما يجب لهم من مهارات وأدوات تستطيع أن تقودهم إلى الصراط المستقيم.

وتأتي هذه السلسلة من المقالات الدعوية تحت عنوان «الأسس النفسية للتأثير الدعوي» من أجل الوقوف على الركائز النفسية التي يستند إليها الداعية ليحقق النجاح في مهمته السامية، ويأتي الأساس السابع بعنوان «تهيئة المدعويين».

د. رمضان أبوعلي

أستاذ جامعي - دكتورة في الدعوة الإسلامية

على السواء، وتهيئة الداعي تكون بحسن إعداده وتكوينه في جميع المجالات التي تخدم العمل الدعوي، وقد ساق القرآن الكريم جانباً من جوانب هذا الإعداد حين أمر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه

المدعويين نحوه، واستقبال كلامه، وإثارة دافعيته لقبوله.

التأصيل الشرعي:

إن الناظر إلى رسالة الإسلام يجد أنها قد اهتمت بتهيئة الداعي والمدعو

يقصد بـ«تهيئة المدعويين» الأساليب التي يستخدمها الداعية لجذب انتباه

وسلم بقيام الليل في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ۖ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (المزمل)، فقيام الليل يسهم في تهيئة الداعية للعمل الدعوي، بل إنه يقوي العزم ويقوم القول، ثم أنزل عليه بعدها قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر)، لتكون الممارسة الدعوية بعد التهيئة النفسية.

وكما أن التهيئة النفسية ضرورية للداعية حتى يحسن عمله الدعوي؛ فإن تهيئة المدعويين ضرورة لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها، حيث إنها تمثل مفتاح الدخول إلى قلوبهم وعقولهم.

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل في تهيئة المدعويين لقوله ودعوته في مواقف عديدة، منها الفردي والجماعي، أما تهيئته الفردية للمدعو فتظهر فيما فعله مع الصحابي الجليل معاذ بن جبل، حين أخذ بيده يوماً، ثم قال: «يَا مُعَاذُ، إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أُحِبُّكَ، فقال رسول الله: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١)، ففي أخذه صلى الله عليه وسلم بيد معاذ بن جبل وتصريحه له بحبه تهيئة عظيمة لدعوته إلى ذكر الله بعد الصلاة.

أما التهيئة الجماعية للمدعويين فقد وردت في حديث أبي بكره رضي الله عنه، حيث قال: قَالَ: حَظَبْنَا النَّبِيَّ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ

الأساليب التي يستخدمها الداعية لجذب انتباه المدعويين واستقبال كلامه وإثارتهم

تهيئة المدعويين ضرورة لا يمكن تجاهلها فهي مفتاح الدخول إلى قلوبهم وعقولهم

حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَشْهَدُ»^(٢).

قال القرطبي: سؤاله صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهمهم، ولتقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه^(٣)، وفي هذا تأكيد على ضرورة التهيئة النفسية للمدعويين من أجل تحقيق الفاعلية الدعوية والاستجابة الجماهيرية.

التوظيف النفسي:

تسهم التهيئة النفسية في تحقيق التواصل الجيد بين الداعية ومدعويه، حيث تحتاج النفس الإنسانية إلى من يمهدها لها الطريق، ويفتح أمامها أبواب القبول، فالتهيئة ترمي إلى إنشاء مزج شعوري وارتباط وجداني بين الداعية والمدعويين^(٤)، كما تعين التهيئة على حركة العقل ونشاطه، وتعتمد على التصوير والتخيل، بهدف إخضاع النفس لحقائق علمية صحيحة، أو لمبادئ خلقية سليمة، فهي طريق تربوي إلى غاية تربوية^(٥).

وتتحقق التهيئة النفسية للمدعويين من خلال أساليب متنوعة، منها: طرح الأسئلة المثيرة، وسرد القصص والحكايات والطرائف الهادفة، وعرض الأحداث الجارية، وغيرها من الأساليب التحفيزية التي تثير الوجدان وتحرك الأركان.

التوظيف الدعوي:

إذا أدرك الداعية أن التهيئة النفسية للمدعويين تسهم في تحقيق الاستجابة:

فإنه يبادر إلى تفعيلها وتوظيف أساليبها في خطابه الدعوي، حتى يرفع همة المدعويين إلى العمل الصالح، وذلك من خلال الوسائل الآتية:

١- استخدام أسلوب التشويق في الخطاب الدعوي؛ وهو أسلوب يبعث على إثارة الانتباه وإيقاظ الهمم، والبحث عن هذا الجديد الذي تتطلع إليه النفس البشرية، وقد جاء هذا الأسلوب كثيراً في القرآن والسنة، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُجِيبُكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (الصف).

وفي السنة النبوية الشريفة ما يؤكد استخدام أسلوب التشويق من أجل التهيئة النفسية للمدعويين، وهذا مطلع بعض الأحاديث التي جعلت الصحابة يتطلعون شوقاً إلى الإقدام على الطاعة، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه يوماً: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(٦)، وقال لهم في مجلس آخر: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؟»^(٧)، وقال لهم أيضاً: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا، وَلَا تُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٨)، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تبعث في النفس الشوق إلى الثواب، فتتحرك في ميدان العمل الصالح ساعية إليه.

٢- بيان الثواب والعقاب على الأعمال، حيث إن تحصيل الثواب والنجاة من العقاب من أهم الأهداف التي يسعى المؤمن إلى تحقيقها، فإذا أفصح الداعية عن الثواب أو العقاب المترتب على الأعمال؛ فإنه يهيئ المدعو إلى المسارعة في فعل ما يجلب له الثواب واجتناب ما يسبب العقاب.

ومن أمثلة هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٧)،

التهيئة النفسية تسهم في تحقيق التواصل الجيد بين الداعية ومدعويه

استخدام أسلوب التشويق يبعث على إثارة الانتباه وإيقاظ الهمم

فقد علّق تحصيل الثواب والعقاب هنا على شرط الفعل، وقد استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب، قائلاً: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

٣- الترحيب بالمدعو والثناء عليه؛ فإن الثناء على المدعو بما هو أهله يفتح قلبه إلى الداعية، فيقبل عليه ويستمتع إليه وغالباً ما ينقاد إليه، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في ذلك، حين قَدِمَ وَقَدْ عَبْدَ الْقَيْسَ قَالَ لَهُمْ: «مَرْحَباً بِالْوَفْدِ، الَّذِينَ جَاؤُوا غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَدَامَى»^(٢).

والناظر إلى هذه الأساليب الدعوية يجد أنها قد أسهمت في إثارة المدعويين وتحفيزهم وتهيئتهم إلى قبول الدعوة والاستجابة لها؛ مما يفتح المجال أمام الداعية أن يستأذن على القلوب كما يستأذن على البيوت، وأن يحرص على تهيتها بكل وسيلة متاحة ومباحة، عسى الله تعالى أن يفتح به وله قلوب العباد ومغاليق البلاد.

الدليل على التأثير الناجح؛

تبين فيما سبق أن التهيئة النفسية للمدعويين تسهم في تحقيق الفاعلية الدعوية، وقد تعددت الأمثلة التي تدل على ذلك من المواقف النبوية التي سبق ذكرها. ومن الأمثلة التي تدل على ذلك أيضاً: ما كان من أمر السيدة أم سليم الأنصارية زوج أبي طلحة، الذي كان له منها ولدٌ يشكي ألماً، فخرج أبو طلحة إلى المسجد، فتوفي الغلام، وعندما أرادت أم سليم أن تبلغ زوجها خبر الوفاة لم تصدمه به



الهوامش

- (١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣٠ / ٣٦) رقم ٢٢١١٩ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
- (٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، (٦٢٠ / ٢) رقم ١٦٥٤.
- (٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٥٩ / ١)
- (٤) الدعوة المؤثرة، د. جمال ماضي، ص ٩٦.
- (٥) منهج تربوي فريد في القرآن الكريم د. محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٦٤.
- (٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٤ / ٢٠) رقم ١٢٦٩٧، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.
- (٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦ / ٢٤٥٢ رقم ٦٢٨١).
- (٨) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١ / ٧٤ رقم ٥٤).
- (٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦ / ٢٤٥٩ رقم ٦٣٠٤).
- (١٠) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥ / ٢٢٨٥) رقم ٥٨٢٢، وأخرجه مسلم (١ / ٤٧ رقم ١٧).
- (١١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧ / ٧٨).

مباشرة، وإنما هيأت عقله وقلبه لقبوله، فقالت له: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان استعاروا عارية فتمتّعوا بها فلما طُلبت منهم شقّ ذلك عليهم؟ قال: ما أنصفوا، قالت: فإن ابنك فلاناً كان عارية من الله فقبضه إليه؛ فاسترجع وحمد الله^(١١).

والناظر في هذا الموقف يجد أن السيدة أم سليم لم تفاجئ زوجها بخبر وفاة ولده، وإنما حرصت على تهيئته لهذا الأمر حتى استعد له ثم أخبرته، فجاء الأمر يسيراً عليه.

والخلاصة: أن التهيئة النفسية للمدعويين تعد ركيزة فاعلة من ركائز النجاح الدعوي، وقد أكدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وأثبتت الوقائع التاريخية دورها في التأثير والنجاح الدعوي. ■

دروس ملهمة للأسرة المسلمة (3)

المحاضن التربوية الداعمة للأسر المسلمة



الإنسان الفرد هو أساس المجتمع وعماده الأول، ومحور هذا الكون، وأهم لبنة في صرحه الشامخ، وبنائه السامق، فهو مدني واجتماعي بطبعه، يبدأ حياته بمركب مزدوج؛ أبيه وأمه؛ لذا فالأسرة هي المحضن الأول. وهو كذلك ابن بيئته وأسرته؛ فهي تؤثر في تكوين سلوكه وأفكاره وقيمه وعاداته ودينه وثقافته ولغته، وهي الأرض الخصبة التي يمكن أن نزرع فيها كل معاني الحب والرحمة والفضيلة في نفوس الناشئة.



د. محمد البربري
داعية إسلامي

صحبة رسول الله؟!

درة في جبين التاريخ:

هذه الدرة الثمينة هي وصية النبي صلى الله عليه وسلم للأوليين والآخرين، همس بها أولاً في هذه الأذن الواعية: أذن عبد الله بن عباس؛ لتكون منهج حياة تهدي الحيران، وتروي غلة الظلمات، وهذه الوصية من أهم ثمرات التكوين لهذه الشجرة الطيبة التي نشأت في البيئة النبوية الطاهرة.

حبر الأمة، فقيه العصر، رباني الأمة، ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل عام الهجرة بثلاث سنين، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين شهراً، وعاش واحداً وسبعين عاماً^(١).

ولله ما أعقل أباه! لقد دفعه ناحية الريح الطيبة، واختار له محضناً تربوياً داعماً؛ يرأب الصدع، ويقوم المعوج، وهل في الدنيا أجمل من

في ظلال بيت النبوة، نشأ فتى الكهول وشب وترعرع في أحضان أكرم رسول صلى الله عليه وسلم، تعلم العلم من أظهر لسان نطق به خير إنسان، وتعلم القدوة ممن آتاه الله تعالى جوامع البيان، تعلم القدوة ممارسة ومدرسة، وما أوسع الشقة بينهما! وهذه شهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم له، فعن عكرمة عن ابن عباس قال: ضمنني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره، وقال: «اللهم علّمه الحكمة وعلمه الكتاب»^(٢).

في ظلال بيت النبوة نشأ حبر الأمة فقيه العصر ترجمان القرآن عبدالله بن عباس

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، وفي رواية: «وأن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً»^(٣).

في الحديث الشريف دروس دعوية وتربوية مهمة، منها:

١- المتأمل في هذا الكلام الذي يقال لهذا الغلام، وربما لا يفهمه بعض أولي الأحلام، وهو في بواكير عمره لم يتجاوز التاسعة أو العاشرة، يجعلنا نسأل: ما الداعي أن يسمع طفل مثل هذا الكلام؟ إنها التربية وبناء شخصية الطفل على كبير المعاني وضخامة الحدث؛ فيشب وقلبه معلق بمعالي الأمور وجليها، لا بحقيرها ووضعها، فمن القواعد التربوية المهمة لدى أرباب الميدان «رب ولدك على كبير المعاني وصحيح المعتقد، ولا تخش من قلة فهمه لها في وقتها»؛ لذا كان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بإعداد الناشئة من أبناء الأمة في شخص عبدالله بن عباس، ويا لروعة المحضن وعظمة الاهتمام وبراعة الإشراف!

٢- ملازمة المتربي للمربي مظنة اكتساب الحكمة والفطنة والتزود بوافر الآداب؛ «كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم»؛ إنها مخالطة في الحل والترحال، فهو من الذين أردفهم النبي صلى الله عليه وسلم خلفه، وإن كانوا كثيرين، ثم انظر إلى اختيار مواطن النصيحة، واختيار المقام والمقال ليكون ذلك أدعى على قدرة الاستيعاب والتحصيل، فهل تجدي النصيحة وقت النوم، مثلاً؟ إنه وقت الدعة والكسل وخمول العقل، وما أروع من منهج لو طبقناه مع أولادنا!

ملازمة المتربي للمربي رغبة في اكتساب الحكمة والفطنة والتزود بوافر الآداب

٣- حسن اختيار المربي المتمثل في شخص النبي صلى الله عليه وسلم لمن يقوم على تربيته وإعداده، «يا غلام»؛ يعني أنه صغير لكنه يتمتع بذكاء حاد وذاكرة حافظة وفريضة متقدمة وصفاء ذهن، وهذه مؤهلات جعلت منه غلاماً في حكمة الشيوخ، ثم إن مرحلة الطفولة من أهم وأخصب مراحل العمر؛ فعلى الوالدين ضرورة اغتنامها بالنافع المفيد، والبحث عن أولئك الذين يؤتمنون على فلذات أكبادنا فقد يكون تأثيرهم أعمق من تأثير الوالدين دنيا وديناً، وهذا ما ظهر من ملازمة ابن عباس لسيد المرسلين، واستكمل المسيرة بعدها مع عدد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

٤- التدريب على قوة الحفظ وصيانة المسموع من الزيف والتحريف والنسيان؛ نقصد الأمانة في التحمل والأداء، «إني أعلمك كلمات»؛ وهي مقدمة بليغة لينتبه ويستحضر ذهنه ويحفظ ما يقال، فسيأخذ من خير العبر عبرها، ومن جيد الحكم جياها.

٥- تأصيل مفهوم العقيدة الصحيحة وترسيخ مبادئها ومعانيها في نفوس الناشئة، فالتوحيد أساس الدين وقاعدته وأصله ونصله، أول الأوامر وأعظم القضايا ورأس جميع الأمور، هو نقطة البداية وأعلى مراتب النهاية، ولا بد أن تصدر عن العقيدة أشعتها كما يصدر عن الورد شذاه، فمن حفظ الأوامر وفعلها وعرف النواهي واجتنبها حصل له جواب الطلب، «احفظ الله يحفظك»؛ وهذه تلخص العقيدة الصحيحة.

٦- ما اشتملت عليه هذه الوصية من حفظ الله تعالى لأوليائه وأصفيائه في الدنيا والآخرة، والحث على الاستعانة بالله وحسن التوجه إليه واليقين والرضا بما قضى وقدر، فمن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه فمعه القوة التي لا تغلب، والهادي الذي لا يضل، والحارس الذي لا ينام.

نهر العطاء الرباني؛

نحن أمة القرطاس والقلم والعلم والمعرفة،

توفير المحاضن التربوية الداعمة لجهود الأسرة لتكون أجدي نفعاً وأبقى أثراً

ونحن أمة «اقرأ» أول مداد الغيث القرآني البديع، والعلم له خزائن كخزائن المال لا تفتح إلا بقدر، بل لا تفتح إلا بتقوى الله تعالى، فهي خير سياج، وهي سلم الوصول إلى كل باب، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

ومن كتاب الواقع، نرى أنه ربما تشبع التلميذ من أستاذه وارتوى من معين مائه وعذب فرائه حتى بلغ مرتبة سنية ومكانة عليّة، كما حدث لحبر المحارب صاحب الحكمة والعقل الأريب، عن الحسن قال: «كان ابن عباس من الإسلام بمنزل، وكان من القرآن بمنزل، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية، وكان عمر رضي الله عنه إذا ذكره قال: ذلك فتى الكهول، له لسان سؤول وقلب عقول»^(٤). وعن مسروق قال: «كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس»^(٥).

وبعد، فالفضل يرجع للبيئة التي أشرفت على هذا الغصن الندي حتى استوى على سوقه فأثمر علماً وفقهاً وفصاحة وبلاغة شهد له بها الفضلاء من الصحابة رضي الله عنهم، ويبقى الواجب العملي المهم أن نحرص على توفير مثل هذه المحاضن التربوية الداعمة لجهود الأسرة، التي ربما تكون أكثر دعماً وأجدي نفعاً وأبقى أثراً. ■

الهوامش

- (١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١٦ / ٧ / ١١٧).
- (٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٢٢).
- (٣) سنن الترمذي (٢٥١٦).
- (٤) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٢٣).
- (٥) المرجع السابق.

جورُ الآباء فرَّق الأولاد



للأسف الشديد، أثرت نفسية زوجي على تعامله مع ابنتنا، فنادرًا ما كان يحملها، ناهيك عن أن يحتضنها ويقبلها! الحمد لله، حملت ومنَّ الله علينا بمولود ذكر بعد حوالي ثلاث سنوات، وطار زوجي فرحاً، وأغدق على ابنتنا ما ضنَّ به على ابنتنا! تأثرت ابنتنا كثيراً، وقالت لي ذات مرة: إن أبي لا يحبني، إنه يحب أخي فقط، فلم أعرها اهتماماً، إنها مجرد طفلة، حاولت من جانبي أن أعوضها عن جفاء والدها، خاصة أنه قد عُنّفها بشدة عندما اكتشف أنها قد عضت أخاها، وخوفاً على ابني أبعدها عنه، فكنت أغلق عليه الغرفة حتى لا تؤذيه.

ورزقنا الله بعد ذلك بابنة، وتكررت

أعيش حلبة مصارعة وليس في بيت ينعم فيه الأولاد بأخوتهم.. لماذا لا يحبون بعضهم؟!

حرمان زوجك لابنتكما من العطاء العاطفي ظلم وجاهلية وله آثاره السلبية على نموها

الزواج: كان زوجي يحلم بأن يكون أبا لعدد كثير من الذكور! لأنه كان الابن الوحيد لوالديه، وشاء الله تعالى ألا يكون له قرناء من أقاربه، تربي زوجي وإحساس الوحدة يلزمه، توفي والده وترك له مجموعة من الشركات، وتركه من صلة الأرحام، وكم تمنى أن يكون له إخوة يشاركونه هذه الأعباء!

الحمد لله، بعد زواجنا مباشرة حملت وكم كانت فرحة زوجي وأمله أن يكون الجنين ذكراً يعوضه حرمان الإخوة، شاء الله أن ألد بنتاً، ورغم تدين زوجي، فإنني لاحظت عليه الصدمة، وكنت أتجاهل ذلك، إلا أنني سألته مباشرة: هل أنت حزين لأن الله رزقنا ببنت؟ قال: لست حزيناً، ولكنني غير سعيد، كنت أتمنى ابناً، بادرته بأن الله هو الرزاق..

قاطعني، وقال: كل ما ستقولينه أنا أعرفه وقلته لنفسي، ولكنني، كما تعرفين، عشت وحيداً لم يكن لي إخوة ولا أولاد عم ولا.. فقلت: لكن الله قد عوّضك بإخوة في الله وأصدقاء، وإن شاء الله يرزقنا بما يسعدك.



د. يحيى عثمان

استشاري تربوي وعلاقات أسرية
مستشار البحوث بمجلس الوزراء سابقاً
y3thman1@hotmail.com

د. يحيى، أكتب إليك وقد أظلمت الدنيا في وجهي، رغم ما قد يحسدني عليه أقرب الناس إليّ، نعم فأنا والله الحمد متزوجة وحياتنا أنا وزوجي متناغمة؛ فزوجي خلوق مهذب كريم في تفاعله العاطفي والمادي، رزقنا الله بثلاثة ذكور وبنتين، ورغم ما نوفره لهم من رغد العيش والرفاهية، فإنهم سبب شقائنا وما قد يحدث بيني وبين والدهم من اختلاف بسببهم! فقد أحوالوا حياتنا إلى جحيم! دعني أوضح لكم تصورات زوجي قبل

الـحـل:

الأولاد نعمة جلية من الله تعالى، وأمانة عظيمة سنسأل عنها، وندعو الله أن يوفقنا لأداء كل الأمانات التي ابتلانا بها، مع اليقين أن الله لم يكلفنا إلا بما هو في وسعنا؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، إن حالة أولادكما كما بينتها ابتلاء عظيم، ولكن هذا نتيجة لأخطائكما التربوية معاً وليس زوجك فقط، وما جنيتم على أولادكما، سأتناول تصرفاتكما وآثارها التربوية، وكيف أوصلت الأولاد لهذا المستوى من سوء علاقتهم ببعضهم:

- أثر حرمان الأولاد من الشعور بالحب: تشير كثير من الدراسات إلى أن الأولاد يحتاجون إلى من يقبلهم ويحتضنهم ويداعبهم، ولا يؤثر ذلك في نموهم وجدانياً فحسب، بل بدنياً أيضاً، وتتعدد الآثار السلبية المترتبة على الحرمان الوجداني من الشعور بالوحدة والعدوانية وفقدان الثقة في النفس والأسرة، إن حرمان زوجك لابنتكما من العطاء العاطفي ظلم وجاهلية، وللأسف له آثاره السلبية على نموها.

- الحب المرضي: نعم يجب علينا أن

المأساة مرة أخرى، ثم ولدين، وللأسف كان للأبناء النصيب الأوفر من الرعاية والاهتمام من والدهم سواء كان اهتماماً معنوياً أو مادياً، وعلاجاً لذلك كنت أعوض أنا البنّتين.

أصبح البيت صراعاً بين الفريقين؛ كل فريق يود الإيقاع بالآخر، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تصاعدت نتيجة التباين بينهم في الدراسة، فنتيجة للحب غير المنضبط من زوجي لابنه الأول وتلبيته لكل طلباته وعدم عقابه عند خطئه؛ تحول الولد إلى شخصية متمردة، وأثر ذلك على تحصيله الدراسي، وكثيراً ما كان يقارنه بأخيه الأصغر.

وجد زوجي أمله في ابنه الأصغر؛ فزاد اهتمامه به على باقي أولاده؛ مما أوغر الغيرة في قلوبهم، وأصبح هم باقي الأولاد كيف يعوقون أخيه عن دراسته، أو بيان نواقصه، ولم يقتصر الأمر على الحب الخاص لابنه المتفوق دراسياً، بل المشكلة أنه كان كثيراً ما يأخذ شكل ابنتي الصغرى مادة للضحك، حيث كانت تعاني من الشعور في وجهها فيناديها بأسماء مذكّرة تهكماً ويضحك إختوتها عليها! وعبرت مرة لي أنها تكره أختها لأنها أجمل منها.

أشعر أنني أعيش حلبة مصارعة وليس في بيت ينعم فيه الأولاد بأخوتهم، يتسامرون ويلعبون معاً، أدور في حلقة مفرغة من المشكلات التي يحرص كل منهم على أن يوقع إخوانه بها، لماذا الأولاد لا يحبون بعضهم؟!؟

الوالدان مصدر الحب والحنان وليس مقبلاً أن يسخر والد من سلوك ابنته خاصة شكلها

قضاء أكبر وقت مع الأولاد ومشاركتهم أنشطتهم يعوّدهم على التعاون والشعور بروح الفريق

نعبر لأولادنا عن حبنا، ولكن من خلال الأسلوب التربوي المناسب لشخصيته، أما أن يحول الحب دون نهرهم عن الخطأ أو حثهم على الصواب؛ فهذا ضياع للأمانة وجناية في حقهم، كما أنه تدمير لنفسية الطفل بأن نشعر أنه متميز عن أخته لمجرد أنه ولد ذكر، وهي بنت؛ فنشعل في قلب أخته الغيرة منه، بل كرهه ومحاولة إيذائه، كما ذكرت؛ فينشأ الطفل في عزلة نفسية، ويرى في نفسه علواً، ويفشل في إدارة مشاعره وتوجيه قدراته، ويؤثر ذلك سلباً، كما ذكرت، على تحصيله الدراسي.

- أثر تفوق الأولاد على علاقتنا بهم: يجب علينا أن نشجع أولادنا على التفوق، وأن نحثي بهم، ولكن دون مبالغة فنشير غيرة إخوانهم، إن تحول اهتمام زوجك لابنتكما المتفوق قد أشعل الغيرة في قلوب إخوانه عليه، ولنا في قصة يوسف وإخوته العبرة: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٨﴾ اَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ (يوسف).





- السخرية من نقص الأولاد: إن من أكثر السلبيات تدميراً للإنسان بصفة عامة السخرية منه، لأنها تفقد الثقة بالنفس وليس بالشخص الذي سخر منه فقط، بل المحيط الذي أهين به، وقد نهانا الله عن ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ (الحجرات: ١١)، إن الوالدين هما مصدر الحب والحنان، يهرع إلى حضنهما الأولاد طلباً للأمان النفسي مهما بلغا من العمر، وليس من المقبول، بل ليس من المتصور أن يسخر والد من سلوك ابنته، ناهيك عن أن تكون السخرية من شكلها، التي من فطرتها الاعتزاز بشكلها!

- دور الزوج في إصلاح زوجه: إن من أهم الأدوار الذي يجب على الزوج القيام بها مع زوجه، دلالاته إلى كل خير وإعانتة عليه، وهو الأجدر على القيام بهذه الرسالة، وصول علاقة الأولاد إلى هذه الدرجة من العداوة نتيجة أنك لم تقومي بدورك لتعديل أخطاء زوجك التربوية.



- فريقان بالبيت: إن نجاح التربية في تحقيق أهدافها يعتمد بعد توفيق الله على مدى التنسيق والتكامل بين الزوجين في تربية أولادهما، كما أنه لم يعان الأولاد من الممارسات التربوية الخاطئة لزوجك، بل منك أيضاً، لقد نسبت الأبناء لوالدهم في أكثر من موضع، مما يبين أنك اكتفيت بميل الأب للذكور وكأنهم أولادهم فقط! إن انقسام البيت إلى فريقين يوغل في قلوب الأبناء العداوة ضد الآخر، ويطمس الشعور بالانتماء للأسرة، ويضعف، بل يقطع صلة الأخوة.

التوصيات:

- الاستغفار والتوبة والدعاء للأولاد.
- تنمية المعارف التربوية، فما يتم الواجب إلا به فهو واجب: (قراءة، فيديو، محاضرات وندوات، استشارات..).
- قضاء أكبر وقت ممكن مع الأولاد، والتفان في أنشطة مشتركة (مسابقات دينية، علمية، ثقافية..)، يمكن تقسيم الأولاد إلى فرقتين -على أن تتغير الفرق في كل مسابقة- وتكون الجوائز لكل أعضاء الفريق، فيتعود الأولاد على التعاون معاً، ويشعرون معنى فوز الفريق.

- إسناد مهام لمجموعة من الأولاد يتعاونون معاً لإنجازها؛ مثل: تنظيف البيت، التواصل مع صلة الرحم، إعداد برنامج لرحلة، تنظيم قيام ليلة كل شهر، على أن يساهم كل اثنين معاً في تقديم فقرة (سيرة، خاطرة، من نوادر العرب، الشعوب، قصة إسلام صحابي، فتح بلد، أجمل ما في أخي حيث يتبارى الأولاد في ذكر مناقب إخوانه..).

- لوحة الشرف: الأخ المثالي يضع الأولاد قواعد التميز: التعاون، العطاء، التسامح، الكرم..

- الاحتفال بالتفوق: جائزة للأكثر تديناً، جهداً، درجات، تنظيماً للوقت، سلوكاً، صلة للرحم.. بحيث يحصل الجميع على جوائز.

- نشجعهم على التهادي فيما بينهم؛ «تهادوا تحابوا»، فنعطي لهم النقود وهم يختارون هدايا لإخوانهم كما يشاؤون، ومن بادر بنفسه نضاعف له جزاء مبادرته.

- الجائزة قد تكون معنوية، أو رمزية، أو نقدية، أو شيء له قيمة لتعديل السلوك؛ مثل الكتاب، أو تنمية مهارات الذكاء، أو حث على الرياضة البدنية. ■

تشكيل الرأي العام وصناعته



أ.د. زيد بن محمد الرماني

مستشار اقتصادي وأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

لامتلاك وسيلة الإعلام والتواصل تقتزن بدفع مبلغ من المال ليس باليسير بالنسبة لمعظم الأسر على امتداد وطننا الإسلامي، فإن هذا يعني تدريب هذه الأسر على اقتحام مجال الإسراف الذي تبدو أهم ملامحه في تلك الفوضى التي لا تعرف توازناً بين الحق والواجب، والأهم والمهم، والضروري والكمالي.

وقد قيل: إن اقتناء التلفزيون أو الجوال أو أحدهما يعد إشارة واضحة لتخطي الأسرة حدود الاقتصاد في المعيشة، إلى الانغماس في حمى الاستهلاك التي يعمل منتجو السلع على تعميمها وإشاعتها.

وهكذا، يتبين لنا بشكل واضح ما لهذه الأجهزة والوسائل من آثار سلبية على الفرد والجماعة، ولذلك فإن من الخير لنا؛ أفراداً وأمة، أن نقدم الأهم على المهم، والضروري على الكمالي، والنافع على الضار، وألا نصدق أن مقالة اللحاق بركاب التقدم تعني الاستمساك بأسوأ ما لدى الأمم من التطلعات السُفلية التي ما هبَّت رياحها على قوم إلا حاولت أن تقتلع منهم جذور الخير والطهر والكرامة.

إن الإعلام الآن يتعدد وسائله تحول إلى سلطة من جهة، وأداة لتشكيل الرأي العام وصناعته من جهة أخرى. ■

والمتجر، ورافقت المسافرين في مركباتهم، والمتنزهين في نزهاتهم، حتى أصبحت الرفيق الدائم الذي لا يُمل.

وطاب لكثير من الناس أن يتناولوا طعامهم أمام شاشة التلفزيون أو شاشة الجوال، ليساعدهم على ازدياد الطعام والتهام أكبر كمية منه، حتى أطلقوا في أمريكا على طريقة الأكل هذه «غذاء التلفزيون»، التي تشير إلى أن الناس غدوا يتناولون وجبات طعامهم أثناء مشاهدة التلفزيون؛ إذ يستسلم شعورهم وإحساساتهم للبرامج، فلا يدرون كم أكلوا وشربوا.

ومما لا شك فيه أن للتلفزيون، وغيره من وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، آثاراً خطيرة على اقتصاد الفرد والجماعة، إذ هي أصلاً سلعة ليست رخيصة، وابتاعها يعطي دافعاً قوياً للإعلام الاستهلاكي والنظام الاستهلاكي.

إذ تعتبر وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي الحديثة محرّضاً قوياً على الاستهلاك؛ بما تمتلكه من الثقة لدى معظم المشاهدين والمتابعين، وبما تبثه من البرامج المعدة خصيصاً لتوجيه الجمهور ودفعه إلى الاستهلاك.

ولعل الأسر التي تقتني مثل هذه الوسائل تشعر منذ أن تقوم بدفع ثمنها بانتقالها إلى مرحلة جديدة في نمط جديد للحياة اليومية، وما دامت اللحظات الأولى

يقول «جيرري ماندر»: «أنا شخصياً لم أصادف أي رجل إعلان يعتقد صراحة بوجود أي حاجة لـ ٩٩٪ من المواد الاستهلاكية التي تملأ موجات الأثير، وصفحات الصحف والمجلات...».

إن في الغرب مفكرين يطلقون الصرخات بين الحين والآخر، منذرين قومهم، ومشيرين إلى مكمّن الداء، وإن لم يوفقوا بعد في الوصول إلى حلول تناسب فطرة الإنسان ومتطلباته.

ومن هؤلاء «جيرري ماندر»، المفكر الأمريكي، الذي أفزع ما تحقق لديه؛ نتيجة خمسة عشر عاماً عاشها مدير دعاية وعلاقات عامة، من آثار التلفزيون كإحدى وسائل الإعلام المدمرة للإنسان، فألف كتاباً دعا فيه إلى التخلص من التلفزيون أسماه «أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون»، استطاع من خلاله الإشارة إلى مكامن الخطر في هذا الجهاز العجيب، وكانت آراؤه وليدة تجربة حقيقية لطبيعة عمله في مجال الإعلام؛ مما أتاح له ملاحظة ما لأجهزة الإعلام من تأثير انحرافي في هذا العالم، يتعذر اجتنابه أو تضاديه.

لقد فاقت جاذبية التلفزيون قديماً وللأسف حالياً الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي كل حد، حتى أضحت إدماناً استسلمت له طوائف كثيرة من الناس، ودخلت الهواتف الذكية إلى المصنع





مبرة الآل والأصحاب مسيرة ١٩ عاماً

في نشر تراث الآل والأصحاب وتطوير الطائفية
انطلاقاً من تأكيد المفاهيم الوسطية في فهم تراث الآل والأصحاب

أحدث الإصدارات



يمكنكم الآن دعم المبرة من زكاتكم وصدقاتكم من خلال التبرع الإلكتروني عن طريق تطبيق (بيت التمويل الكويتي)



الخطوات :

١- من قائمة خدمات اختر تحويلات مالية

٢- اختر تبرعات لجان خيرية

٣- اختر مبرة الآل والأصحاب الخيرية



10 أبواب للخير

بتبرعك تساهم بـ 10 مشاريع متنوعة

كفالة
يتيم

إطعام
الطعام

كفالة طالب
مدرسي

الأسر
المتعففة

مشروع
فرج كربة

مشروع
مرضى ms

علاج مرضى
السرطان

علاج مرضى
الروماتويد

سقيا
الماء

كسوة
اليтим

لايطوفك الخير

